وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة يحي فارس – المدية –

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الاجتماعية

مطبوعة جامعية بعنوان :

محاضرات في فرد وثقافة

مقدمة لطلبة السنة الاولى علوم اجتماعية ل م د

إعداد :

د: واكد رابح

السنة الجامعية : 2022 – 2023

المحتويات

*الفصل الأول : مفهوم الفرد والفردانية *

الرقم	الموضوع	الصفحة
01	**تمهيد**	**04**
02	الدلالة اللغوية	05
03	الدلالة النفسية	06
04	الدلالة الاجتماعية	09
05	الدلالة الفلسفية	11
06	الدلالة الانتربولوجية	13
07	الفردانية المنهجية	15
08	مفهوم دوركايم للفردانية	18
09	تاريخ الفردانية	20
10	الفردانية والجمعنة	28
11	نقد الفردانية	29
12	من الفرد إلى الشخص	36
13	الفرد والمجتمع	38
14	الفرد والجماعة الإنسانية	40
15	الفرد والحضارة	44
16	خلاصة	49
	* الفصل الثاني : مفهوم الثقافة وخصائصها *	
17	تمهيد	51
18	ما هي الثقافة ؟	52
19	خصائص ومحددات الثقافة	55
20	نشأة وتطور مفهوم الثقافة	64
21	ظهور مفهوم الثقافة في البيئة الفكرية العربية	67
22	نظريات الثقافة	83
23	ظهور مفهوم الثقافة في البيئة الفكرية العربية	111
24	مفهوم مثقف في الفكر العربي	114
25	خاتمة	117
26	المصادر والمراجع	118

تمهيد :

الفرد " الإنسان " يشكل الثقافة وينتجها ويتابع تطورها واستمرارها كما يستدرك على مخرجاتها ومقولاتها ومآلاتها ويتصل بها زمانياً ومكانياً ولا يملك إزاءها إلا بالتقارب والتماهي والتماس ليعبّر عن مركبات حياته وتداعياتها وجزئياتها ويعطي لها مدلولا ذاتياً واجتماعياً وحتى عالمياً يبرهن به على التعاطى المتواصل مع الإنسان ورغبته في إثراء الثقافة الإنسانية وإبراز النموذج الثقافي الذي ينتمي إليه، لتتحاور الثقافات وتتواصل وتتفاعل وتتبادل الرؤى والمنظورات المختلفة ، بعيدا عن التنميط الثقافي العالمي الذي تفرضه الثقافة الغربية عبر أشكال الغزو الثقافي المختلفة خاصة مع تغلغل وسائط الاتصال الحديثة في عمق الأسرة والمجتمع [1] .

ينمو الإنسان بالثقافة فيرتقي بفكره وسلوكه وعلاقاته وتفاعلاته ويبدي فعاليته في تغيير الواقع الذي يحيط به إذ هي" الفعالية " عين التاريخ " [2] لا ستكشاف الذوات الجمعية أو الاجتماعية لا الفردية في تنوعها فنعيها بعقلانية وهي حركتها المستقبلية بإرادتنا [3] تظهر الإرادة من خلال اقتحام الصعاب الاجتماعية والانغماس في التغيير الذي يستدعي الحضور الثقافي أو الشرط الثقافي حتى يستقبله المجتمع على أنه لازمة مجتمعية قبل التحول إلى الحالة الاجتماعية الجديدة التي تلي التغيير .

تتناول المطبوعة في الفصل الاول مفهوم الفرد في لغة المجتمع وتبحث الدلالة النفسية له ، وتحوله من حال " الفرد " إلى الشخص الذي ينخرط في التغيير ويتصف بالجمعية التي تحثه على العلاقة المنتجة به فيهتم بالإنجاز له

---

[1]- رضوان السيد ، أحمد برقاوي ، **المسألة الثقافية في العالم العربي – الإسلامي** (بيروت ، دار الفكر ، ط 2 ، 1422هـ – 2001 م) 13.

[2]- مايكل كاريذس ، **لماذا ينفرد الإنسان بالثقافة الثقافات البشرية :نشأتها وتنوعها** (الكويت ، عالم المعرفة ، المجل الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ع 229 ، رمضان 1418 هـ- يناير –كانون الثاني 1998) ص9 .

[3]- مايكل كاريذس ، المرجع ذاته ، ص 9 .

والتفاعل مع قضاياه الثقافية والإنمائية ، وتورد تاريخ الفردانية ونقدها ، وعلاقة الفرد بالحضارة ، وفي الفصل الثاني تورد مفهوم الثقافة وخصائصها وعلاقاتها ببعض المصطلحات ونظرياتها ، وخصائص الثقافة العربية الإسلامية .

ماهو الفرد ؟

الدلالة اللغوية :

فرد : الله تعالى وتقدس هو الفرد ، وقد تفرد بالأمر دون خلقه ، والفرد في صفات الله تعالى هو الواحد الأحد الذي لا نظير له ولا مثل ولا ثاني ، قال الأزهري : ولا يوصف الله تعالى إلا بما وصف نفسه أو وصفه به النبي صلى الله عليه سلم والفرد : الوتر، والجمع أفراد وفرادى على غير قياس كان جمع فردان ، قال ابن سيده : الفرد نصف الزوج ، ولفرد : المنحر ، والفرد أيضاً : الذي لا نظير له ، قال ابن السكيت : الفرد والفرد بالفتح والضم أي هو منقطع القرين لا مثل له في جودته ، قال : ولم أسمع بالفرد إلا في هذا البيت واستفرد الشيء : أخرجه من بين أصحابه وأفرده جعله فرداً .

وجاءوا فرادى وفرادى أي واحداً بعد واحد أبو زيد عن الكلابيين : جئتمونا فرادى وهم فراد وأزواج ، قال تعالى " **وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى** " قال الفراء : فرادى جمع ، قال والعرب تقول قوم فرادى ، وفراد ياهذا فلا يجرونها شبهت بثلاث ورباع ، قال : وفرادى وحدها فرد وفريد وفرد وفردان ، ولا يجوز فرد في هذا المعنى ، وأنشدني بعضهم :

تَرَى النَّعَرَاتِ الزُّرْقِ تَحْتَ لُبَانِهِ فَرْدُ وَمَثْنَى أَضْعَفَتْهُ صَوَاهِلَة [4]

الفرد في اللغة يخص الفرادة والتميز عن الأفراد الآخرين ويحمل الخصوصية النفسية والعقلية والاجتماعية والاقتصادية والبدنية التي تعبّر عن محتوى سلوكي يُنتج اجتماعياً ويقيَّم بمعايير الجماعة الاجتماعية فيبرع هذا في

[4]– ابن منظور ، **لسان العرب** (بيروت ، دار صادر ، 2003 ،) ج 11 نقلا عن الموقع لالكتروني لإسلام ويب .

ميدان الأدب أو السياسة وذاك في الفن أو العلوم وغير ذلك من المجالات التي تميّز فرد عن فرد آخر والتي تبرزها سيكولوجية الفروق الفردية ، التي تشمل جميع جوانب النشاط الذي يصدر عن الشخصية ، وتطلق على كل ما يتفرد به الكائن أو الشيء من خصائص معينة [5] فيتكون مجموعاً بشريًا بسمات شخصية مختلفة تثري التفاعل الاجتماعي وتعزز من الخبرة التي تتولد من النشاط الجماعي المشترك ، فيحصل التشارك والتنافس والتصارع والتبادل وغيرها من التفاعلات المختلفة ، وبذلك يتمايز العطاء البشري من مجيد ومتقن ومحسن ومسيء ، وكل عطاء قمين بصاحبه يعبر عن التفرد ولا يشبه العطاءات الأخرى ، ويمتد هذا بعدئذ إلى الجماعات الاجتماعية .

-المفهوم الإصطلاحي :

-الدلالة النفسية : psychological signification

يبحث علم النفس الفردي Individual Psychology في الصفات التي يتميز بها كل فرد على حدة وطرق معاملته في تربيته وتعليمه ودراسة طبيعته الخاصة وواضع علم النفس الفردي هو العالم آدلر Adler وهذه المدرسة تهمل العامل الجنسي إهمالا تاماً وترى أن شعور الإنسان بأنه دون غيره Feeling of Inferiority هو المصدر الأول لكل نشاط إنساني ، وأن غاية كل إنسان هي السيطرة والتفوق [6] .

" فروق فردية Individual Difference الجسمية والعقلية والنفسية التي تميز فرداً عن آخر ، فهذا الفرد أكثر ذكاء من ذاك ، وهذا أقل انطوائية من ذاك .. وتلزمنا معرفة الفروق بين الأفراد بعضهم وبعض حتى نعامل كلا بالطريقة التي تناسبه ، فأسلوبنا في التعامل مع المريض النفسي غير الأسلوب في التعامل مع السوي نفسياً "[7]

---

[5]- زياد بركات ، **دور المعلم في مراعاة الفروق الفردية لدى طلبته في ضوء بعض المتغيرات** (فلسطين ، جامعة القدس المفتوحة ، 2004) ص

[6]- محمد مصطفى زيدان ، **معجم المصطلحات النفسية والتربوية** (جدة ، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة ، ط1 ، 1399هـ- 1979 م) ص 175.

[7]- فرج عبد القادر طه ، محمود السيد أبو النيل وآخرون ، أشرف عليه وراجعه فرج عبد القادر طه ، **معجم علم النفس والتحليل النفسي** (بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ط1 ، بدون تاريخ) ص 346 .

" وهدف الباحثين في مجال الفروق الفردية يتمثل في تحديد الجوانب الأكثر عمومية والتي تمثل الأساس للفردية ووضع مفاهيم للتصنيف النظري للتنبؤ بالفروق والتشابهات في التفكير ، والانفعال ، والسلوك الإنساني ، ويهتموا كذلك بتفسير كيف ولماذا يتباين الناس عن بعضهم بعضاً، ويهدفون إلى إنجاز مدى واسع من فهم العمليات النفسية التي تحدد هذه الفروق.

الفرد بناء يحوي جملة من المكونات الجسمية و الحسية والعقلية والنفسية تتفاعل فيما بينها وتشكل كياناً متفرداً يحمل هوية خاصة تتمايز عن بقية الهويات ، وبوساطتها يتمكن من إنتاج الفعل المتوقع منه وتتشكل الثقافة من مجموع إنجازات الأفراد في المجتمع " وبهذه الطريقة تكون أحاسيس الفرد قد انطوت على ما تسبغه على الحياة من معنى له رونقه وصفاؤه أو قد لا يكون كذلك ، بل يكشف عن بلاهة وتفاهة ،ومن هذه المثابة تتباين ما هناك من أهداف يختطها لأنفسهم الأفراد ، وبتفاوت الأهداف تختلف أنماط الحياة ، وفي هذا يستبان مقدار حظوظ الأفراد في مدى جدوى عطائهم الطيب لهم ولغيرهم " [8] .

برأي ألفرد أدلر[9] أن فكرة الفرد عن الحياة هي التي تكوّن تفاعله الاجتماعي معها ، بالإيجاب أو السلب وخلال التفاعل يتبدى التباين بين الأفراد في تعاطيه مع مخرجات الحياة ، وتبعاً لذلك يختلف نمطها ويتولد حظ الفرد منها حسب درجة العطاء ، فالفرد " موجه بهدف Goel- diracted (قد لا يكون شعورياً) ويمثل الطاقة الإبداعية

---

[8]- ألفرد أدلر ، **سيكولوجيتك في الحياة كيف تحياها ؟** ، تعريب عبد العلي الجسماني (بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1 ن 1996م) ص 61.

[9]- ألفرد ادلر (1870 – 1937) ولد في ضواحي مدينة فيينا عاصمة النسا لأب يهودي يعمل في تجارة الحبوب ، أصبح طبيباً بشرياً عام 1894 من اوائل من اهتموا بنظريت فرويد ، في 1900 أصبح رئيساً لمجتمع التحليل النفسي واستقال منه عام 1911 ،كوّن مع زملائه " البحث الحر في التحليل النفسي ، وغيرإسمها في العام التالي إلى جماعة علم النفس الفردي عام 1912، تميزت فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى بإنتاجه الوفير، حيث كتب ونشر خلالها معظم كتبه ، منها دراسة عن " دونية الأعضاء والتعويض النفسي في عام 1917 ، ونظرية علم النفس الفري وكيفية تطبيقها عام 1927 ، فهم الطبيعة البشرية 1927م ، مشكلات العصاب 1929 ، علم الحية 1929 ، حالة الآنسة ر 1931 ، نمط الحياة 1930 ، ما ذا تعني لحياة بالنسبة لك 1931 ، الميل لاجتماعي : تحد للإنسان ، ود نشر بعد وفاته ، في عام 1935 سافر إلى امريكا وعمل في كلية الطب بلونج آيلاند Long Island College of Medicine ، توفي آدلر في 28 مايو 1937متأثراً بأزمة قلبية مفاجئة خلال رياضته الصباحية المشي ، بعد أن ألقى محاضرة واحدة على طلبة جامعة أبردين في سكوتلاندا " انظر الفرد آدلر ، **الطبيعة البشرية** ، ترجمة عادل نجيب بشرى (القاهرة ، المجلس لأعلى للثقافة ، 2005) ص 8 .

الغامضة للحياة Mysterious creative power [10] ، " والغائية هي الأساس الموحّد للشخصية ، نظراً لوجود خطط لا شعورية للسيطرة على مشاعر العجز ، ويمكن أن تكون بعض الأهداف الموجهة لنشاط الفرد خيالية لتتفق مع تلك الخطط " [11] فالفرد حال إنتاجه للثقافة يعبّر عن هدف موضوعي يسعى لتحصيله والإبداع فيه ، كما أنه ملمح لشخصيته المتفردة ، وحين المحاولة في الإنتاج يستبعد مشاعر الإحباط والعجز ، ويستدعي مشاعر الأمل والثقة في الذات .

وحينئذ ينشط ثقافياً مع وسطه الاجتماعي ويسهم في ثقافته الذاتية " وعلى الفرد أن يتذكر دائماً أن عوامل الضعف الكامنة فيه تجعل من المتعذر عليه أن يحقق ما يرمي إليه من أهداف بمفرده وبمعزل عن سواه [12] وبذلك لا يتأتى له إنتاج ثقافة تخصه ذاتياً أو تتعلق بتجاربه الخاصة ، بل بالتجمع مع الأفراد والترابط الإنساني وتوظيف الوسائط المختلفة في ذلك ، " إذ الترابط هو أسمى ما يجب التأكيد عليه والاهتمام به ، وإذا كنّا ننشد البقاء فما علينا إلا أن نطوّع انفعالاتنا لتتناغم مع أعاظم توجهاتنا لحل مشكلاتنا بقصد بلوغ أهدافنا وتحقيق غاياتنا "[13] والترابط ذاته ثقافة تنتج الحضارة بتكاثف جهود الجماعة المترابطة وتوزيع أعباء الجهد على الأفراد الواعين بتنظيم الحياة وتفعيل التثاقف ، ومن غير الممكن أن نجد معنى لحياتنا بمنأى عن الآخرين [14] ، بل المساهمة الإيجابية في حياة الآخرين [15] تشكل الثقافة وتمنحها امتداداً أفقياً وعمودياً في المجتمع يبدأ من الخلية الأولى " الأسرة " وينتهي إلى أعلى مؤسسة اجتماعية " الدولة " .

---

[10]- حسين عبد الفتاح الغامدي ، مدرسة التحليل النفسي ، **نظرية آدلر في علم النفس الفردي النفسي** ، جامعة أم القرى ، بدون تاريخ وتصفيح ، محاضرة إلكترونية " .

[11]- حسين عبد الفتاح الغامدي ، المرجع ذاته ، بدون تاريخ وتصفيح .

[12]- ألفرد آدلر ، **سيكولوجيتك في الحياة كيف تحياها ؟** تعريب عبد العلي الجسماني (بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط 1، 1996م) ص 29 .

[13]- ألفرد آدلر ، المرجع ذاته ، ص 29 .

[14]– ألفرد آدلر ، **معنى الحياة** ، ترجمة وتقديم عادل نجيب بشرى (القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، ط 1 ، 2005م) ص 26.

[15]- ألفرد آدلر ، المرجع ذاته ، ص 26 .

واستجابة الفرد للاهتمام بالآخرين والتحفّز للتعاون معهم مؤشر على وعي ثقافي عميق يتطور باستمراره وترسيخه كقيمة حضارية داخل المجتمع ، تدفع الأفراد الذين يعاينون هذا الاهتمام المشترك والتعاون الجماعي إلى الانخراط في ذات العمل وتكثيف المناشط المختلفة والتعبيرات الثقافية والممارسات التي تترجم التلاحم الجمعي في نشر الثقافة والتطبيق العملي لمضامينها في كافة مجالات الحياة ووصلها بالواقع الحقيقي لا رغبة في أن تكون واقعاً غربياً أو مثالياً ، سيما وأن حياتنا الاجتماعية مغلفة بلفائف من انعدام الفاعلية موصومة بنقائص من كل نوع[16] .

*الدلالة الاجتماعية :social signification

لا يشير مفهوم الفردية في علم الاجتماع إلى العقيدة الخلقية التي تحمل الاسم نفسه ، وإنما إلى خاصية يعتبرها بعض علماء الاجتماع مميزة لبعض المجتمعات وبخاصة المجتمعات الصناعية الحديثة : ففي هذه المجتمعات يعتبر الفرد الوحدة المرجعية الأساسية ، سواء بالنسبة إليه بالذات أو بالنسبة للمجتمع ، فالفرد هو الذي يقرر مهنته ويختار قرينه ، وهو يتحمل " بحرية تامة " مسؤولية معتقداته وآرائه ، كما أن استقلاله الذاتي أكبر مما هو عليه في المجتمعات التقليدية ، المقصود بذلك حالة حقوقية يمكن أن لا يكون لها علاقة بالواقع إلا بطريقة مثالية : حتى ولو كان لي حق إبداء رأيي أو التحرك كما يحلو لي (شرط ألا تصدم آرائي وأفعالي المحرمات الرسمية) سأكون خاضعاً للمحرمات شبه الرسمية التي تفرضها على البيئة التي أنتمي إليها .

يبدو مع ذلك مقبولا اعتبار المجتمعات الصناعية أكثر فردية بالمعنى المعطى هنا للكلمة من المجتمعات التقليدية ، بمقدار ما يمكن على الأقل إقامة تمييز دقيق بين المجتمعات " التقليدية " والمجتمعات " الحديثة " أو الصناعية نحن مدينون لدوركهايم في التأملات والأعمال الأهم وفي كل الأحوال الأكثر نفوذاً على موضوع الفردية وبصورة خاصة على تطور الفردية في المجتمعات الحديثة ، ولكن ثمة مؤلفون آخرون يستحقون الذكر في هذا الصدد ، منهم

[16]- مالك بن نبي ، **مشكلة الثقافة** (دمشق ، دار الفكر ، ط4 ، 1984 ، الإعادة الحادية عشرة) ص 42 .

توكفيل Tocqueville الديمقراطية في أمريكا ، وسيميل (Philosophie des Geldes (Simmel من بين آخرين .[17]

في مؤلف تقسيم العمل كما في الانتحار يفضل دوركهايم استعمال مفهوم الأنانية على مفهوم الفردية ، ولكن المفهومين على الرغم من أنهما لا يتطابقان فإنهما مترابطان بقوة الواحد مع الآخر في تحليلاته ، إذ يقصد بكلمة الأنانية ألا تفهم (او بالأحرى ألا تفهم دوماً) بالمعنى الخلقي ، تفهم إلى أهمية الاستقلال الذاتي المتروك للفرد في اختيار أفعاله ومعتقداته ، ويكون هذا الاستقلال الذاتي بناء للتحليلات الواردة في الانتحار متنوعاً وفقاً للبيئة الاجتماعية الثقافية التي ينخرط فيها الفرد [18] .

ويعتبر دوركايم أن البروتستانت يكونون أكثر عرضة للأنانية من الكاثوليك [19] يتلقى الأخير إيمانه جاهزاً دون تفحص ، أما البروتستانتي فهو واضع معتقده تظهر الأنانية هنا متلازمة مع " زعزعة المعتقدات التقليدية " التي عبرت عنها حركة الإصلاح أكثر مما سببتها ، ولكن تطور الأنانية لا يتعلق بالمتغيرات الثقافية ، بل نتيجة لدرجة اندماج المجموعات الاجتماعية التي يشكل الفرد جزءاً منها ، وهكذا فإن العازب ليس مثل الزوج المندمج في " مجتمع عائلي " [20] ، يكمل الانتحار ويدقق التحليلات السابقة الواردة في تقسيم العمل ، والأطروحة الرئيسية للتقسيم هي أن تطور الفردية يكون بالفعل نتيجة للتعقيد المتنامي لتقسيم العمل ، وبما أن تقسيم العمل كان قليل التطور في المجتمعات القديمة فإن الأفراد كانوا قليلي التمايز ، وكان التضامن الذي يشدهم إلى بعضهم من النمط الآلي وبتعابير أخرى يتعلق الأمر بتضامن مستند على التشابهات ، في هذه الحالة يميل النظام الثقافي إلى تقييد

---

[17]- ر . بودون وف . بوريلو ، **المعجم النقدي لعلم الاجتماع** ، ترجمة سليم حداد (الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط1 ، 1406 هـ- 1986) ص 415 .

[18]- ر.بودون وف .بوريلو ، المرجع ذاته ، ص 4116.

[19]- ر.بودون وف .بوريلو ، المرجع ذاته ، ص 415 .

[20]- ر.بودون وف .بوريلو ، المرجع ذاته ، ص 416

ظهور الأنانية ، فالفرد يكون مندمجاً في المجموعة بواسطة معايير وقيم محددة بشدة ودقة ، تفرض نفسها عليه بوضوح لا يسمح له بوضعها موضع الشك .

في المجتمعات الحديثة يترافق تقسيم العمل بتمايز الأفراد في ظل علاقة التكوين ، والتاريخ المهني ، والبيئات الاجتماعية المعاشة ، وفي ظل علاقات أخرى متعددة من السهل تخيلها، فالتضامن يكون إذن ذو نمط " عضوي " إنه يستند إلى فوارق وتباينات تكميلية [21] .

*الدلالة الفلسفية philosophical Signification :

أشار جميل صليبا في معجمه الفلسفي إلى أن اللفظ اللاتيني Indvidualitas لم يصبح مصطلحاً فلسفياً إلا بعد ترجمة كتب ابن سينا إلى اللغة اللاتينية ، وأصله الشخصية ، لأن الشخص عند ابن سينا هو الفرد ، والشخصي هو الفردي ، والتشخص هو التفرد ، والفردية بالمعنى العام هي ما يتميز به فرد عن آخر من صفات جسمية ومعنوية ، كبنيته ومزاجه وحساسيته وأفكاره ، وكل ما من شأنه أن يجعله ذا خلق فريد وطابع خاص ، والفردية بالمعنى الخاص مرادفة للشخصية Personnalitè ، إلا أن المحدثين يفرقون بينهما بقولهم " إن الفردية هي مجموع الصفات التي يميز بها الفرد عن أفراد نوعه أو مجتمعه ، في حين أن الشخصية هي مجموع الصفات التي تجعل الفرد صالحاً للحياة في مجتمع روحي معلوم ، فالفردية تطلق على مجموع صفاته كما يجب أن تكون بالنسبة إلى مثل أعلى متصور ، وبهذا الاعتبار فإن كل شخص هو فرد ، ولكن ليس كل فرد شخصاً[22].

والفردانية Individualism نزعة تعطي الأولوية إلى الفرد في كل المجالات ، وتتجلى في المجال الأخلاقي كتصور جمال يقوم على مركزية الذات وينادي بفصل الذات عن الغير وبتمجيدها وإبراز خصوصياتها ،

---

[21]– ر.بودون وف .بوريلو ، المرجع ذاته ، ص 416 .

[22]–جميل صليبا ، **المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية** ، ج 1 ،لبنان ، دار الكتاب اللبناني ،لبنان ، 1982، ص 140).

وتكون هذه النزعة أيضاً نزعة مُتَعِيَة لا تخجل من استعمال الغير من أجل تحقيق المآرب الشخصية ، قال مونييه " Mounierالمذهب الفردي نظام من العادات والمشاعر والأفكار والمؤسسات التي تجعل موقف الفرد موقف انعزال ودفاع ، وأول ما يشغل النزعة الفردية هو تركيز الفرد على ذاته " أما في المجال السياسي فالفردانية نظرية مختلفة الأشكال تتفق كلها أن قيمة الفرد أعلى من قيمة المؤسسات المحيطة به لأن الفرد هو الغاية التي من أجلها وجدت هذه المؤسسات ، وينبغي هنا التمييز بين : 1-المذهب الليبرالي (Libéralisme) الذي يرى أنه ينبغي على المجتمع والدولة أن يكونا في خدمة الأفراد ، إذ المؤسسات والقوانين لا تعدو أن تكون وسائل من أجل تحقيق أغراضهم الخاصة.

2- **المذهب الفوضوي** Anarchisme :الذي يطالب بحرية الفرد المطلقة وباستقلاله عن كل سلطة و سيما عن سلطة الدولة ، قال غراف G.Grave في هذا المضمار " لا إله ولا سيد ، بل كل واحد لا يطيع سوى إرادته الخاصة " ولقد أدى ازدياد وظائف الدولة في المجتمعات الحدية إلى مبالغة الأفراد في نقدها لأن ازدياد سلطان يقابله التضييق من حرية الفرد وإعاقة قواه ومواهبه الشخصية ، قال كروبتكين " Kropotkine لقد أدت سيطرة الدولة على جميع الوظائف إلى اشتداد النزعة الفردية ، لأن ازدياد ما يجب للدولة على الأفراد جعل المواطنين يشعرون بأنهم معفون مما يجب على بعضهم البعض [23].

وفي موسوعة لالاند " الفردانية تقال على كل نظرية ، أو على كل نزعة ترى في الفرد أو في الفردي إما صورة الواقع الأكثر جوهرية وإما أعلى درجة قيمية ، وتشير الفردانية عند رينان للدلالة على وضع تكون فيه الاختلافات الفردية شديدة الارتسام " في بداية المهنة العلمية ، يكون المرء مدعواً لتمثل قوانين العالم النفسي والطبيعي بوصفها صيغاً ذات دقة مطلقة : لكن قدم العقل العلمي لا يتوانى عن تعديل هذا المفهوم الأول تظهر الفردانية في كل مكان ، يكاد ينصهر النوع والجنس في تحليل الطبيعي ، تتجلى كل واقعة كأنها فريدة من نوعها ، تبدو أبسط

[23]- جلال الدين سعد ، **معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية** ، دار الجنوب للنشر ، تونس ، 2004 ، ص323.

الظواهر كأنها تقبل الخفض ، لا يعود نظام الأشياء الواقعية سوى توازن واسع لنزعات تنتج ، بتركيباتها اللامحدودة التنوع ، تجليات متنوعة باستمرار[24]، ويقول رنوقييه " إن الاسم الحقيق لمذهب Rosceelin هو الفردانية ، وهذه العقيدة ، كما لا يزال في الإمكان تخيلها لا تتضمن إطلاقاً نفي قوانين الطبيعة نفي الأجناس الطبيعية ، أو ما يمكن أن تولد من تضامن بين الكائنات ، فهذه مسائل أخرى مختلفة تماماً ، وإن ما تدعيه هو أن الواقع الحقيقي ممتنع عن الأنواع والأجناس المعتبرة بذاتها ، خارج الأفراد الذين يمثلون كيفياتها ، وخارج العقول ، حيث تتشكل أفكار هذه الكيفيات طبقاً للتشابهات المعطاة والملحوظة بين الأشياء [25].

ودخل الفرد الغربي في تفكير جديد أعاد من خلاله النظر الجذري في مسلمات فكرية ماضية ، وولج حياة جديدة يعتمد فيها على ذاته ويواجه صعوبات حياته و يتغلب على أزماتها بعيداً عن ضغوط الكنيسة ورجال الدين الذين كبلوا حريته و " مع ظهور فلسفة الحياة لدى نيتشه والفلسفة البرجماتية لدى وليم جيمس والفلسفة الوجودية ، يدأ الاتجاه نحو الإنسان ، ومع كيركجارد ونيتشه تبدأ الفلسفة الذاتية الشريدة رافضة للمطلق والكلي مؤكدة للفردانية والتعدد ، ومنذ ظهور الفردانية والذاتية في الفلسفة الوجودية وفلسفة الحياة والفلسفة البرجماتية يبدأ عهد جديد وثورة جديدة من التفكير ، وبدأ الاتجاه نحو الذات بعد أن استغرقنا الموضوع والموضوعية بكل تياراتها [26]".

*الدلالة الانتربولوجيةAntropological Signification:

" تعود جذور هذه الفكرة إلى التراث الكلاسيكي واليهودي المسيحي بنسب مختلفة ، إن اكتشاف الخطاب المتماسك في اليونان في نظر بعض المختصين بالآداب الكلاسيكية هو فعل بشر كانوا يرون أنفسهم بوصفهم أفراداً : فلا بد أن ضباب الفكر الغامض قد تلاشى تحت شمس أثينا ، وألقت بسلاحها إلى العقل ، وطبع الحدث

---

[24]- (أندريه لالاند ، **موسوعة الفلسفة** ، المجلد A-G ، تعريب خليل أحمد خليل ، ص 658

[25]- أندريه لالاند ، **الموسوعة الفلسفية** ، المجلد الأول ، تعريب خليل أحمد خليل ، ص 658.

[26]- حسن الكحلاني ، **الفردانية في الفكر الفلسفي المعاصر**، مكتبة مدبولي، القاهرة ، 2004 ،ص8.

بداية التاريخ بالمعنى الحقيقي للكلمة ، من المؤكد أن ثمة ما هو صحيح في هذا القول ، لكنه شديد الضيق ويحتاج إلى تعديل ، وللبدء في ذلك يمكن أن يميل عالم الاجتماع في هذا المجال إلى تفضيل الدين بدلا من الفلسفة ، لأن الدين يؤثر في المجتمع برمته ، وهو على علاقة وثيقة مع الفعل ، هكذا فعل ماكس ويبر "[27] والفلسفة اقتصرت على طبقة بعينها ، تنتج التصور والقول بعيداً عن واقع الناس ، نقيض الدين الذي يتصل بحياة الناس ويسهم في حل المشكلات اليومية ، والفعل كما تصوره ماكس يكون من خلال " الاعتقاد بالقيم المطلقة ذاتها أي الامتثال للقيم الاجتماعية والثقافية السائدة كما هي دون التدقيق في الأثر الذي سيترتب عنها والمنفعة التي سيحققها من وراء الفعل الذي سيقوم به ، مثل فعل القائد البحري الذي يقرر أن يغرق مع سفينته عوض أن يفعل كلما في وسعه من إمكانيات ووسائل من اجل تحقيق هدف عقلاني المتمثل في الخلاص والنجاة بنفسه "[28] .

وشيء من الفردانية الحديثة حاضر لدى أوائل المسيحيين وفي العالم المحيط بهم ، لكنها ليست الفردانية المألوفة لنا تماماً ، الواقع أن الشكل القديم والجديد مفصولان بتحول هو من الجذرية والتعقيد بحيث إنه توجب ما يقل عن سبعة عشر قرناً من التاريخ المسيحي لإكماله ، بل ربما لا يزال يستمر في الاكتمال في أيامنا هذه ، كان الدين الخميرة [29].

" عندا نتكلم عن " فرد " نشير إلى شيئين في آن واحد : إلى موضوع خارج عنا ، وإلى قيمة ترغمنا المقارنة على أن نميز تحليلياً هذين المظهرين : من جهة الفاعل التجريبي المتكلم والمفكر والمريد ، أي العينة الفردية من النوع البشري ، كما نلقاها في كل المجتمعات البشرية ، ومن جهة أخرى ، الكائن الأخلاقي المستقل القائم بذاته ، ومن ثم غير الاجتماعي جوهرياً ، والذي يحمل قيمنا العليا ، ويوجد في المقام الأول في إيديولوجيتنا الحديثة عن الإنسان والمجتمع ، ومن وجهة النظر هذه هناك نوعان من المجتمعات ، فحيث الفرد هو القيمة العليا أتحد عن

---

[27]- لويس إدمون ، **مقالات في الفردانية ، منظور أنتربولوجي للإيديولوجية الحديثة** ، ترجمة ، بدر الدين عردوكي ، ص 40.

[28]– دودي نوري نورالدين ، **التنظيم البيروقراطي عند ماكس فيبر و ميشال كروزيه**، جامعة الجلفة ، ص 4.

[29]- لويس إدمون ، **مقالات في الفردانية ، منظور أنتربولوجي للإيديولوجية الحديثة** ، ترجمة ، بدر الدين عردوكي ، ص 41) .

الفردانية ، وفي الحالة المقابلة ، حيث توجد القيمة في المجتمع بوصفها كلا أتحدث عن الفردية وما قدمته دراسات : جان دورتييه ، لوي دومون ،تايلور ، فوكو ، مارسيل غوشيه ، إريك فروم ، البير كامو ، هو أن فكرة الفرد لها تأريخها الخاص ،كما أنها ابتكار يرتبط بأشكال اجتماعية خاصة ، من هنا لا بد من دراسة مختلف الطرائق التي تجعل الفرد يظهر ويختفي على حساب المواقف التاريخية والسياقات الاجتماعية إنها في نهاية المطاف عملية تقع في منتصف الطريق بين الأنتروبولوجيا والتاريخ ، هذه الهواجس كان قد تم رصدها هنا بتعمق [30]، فالأنتربولوجيا تؤسس لما يريده الانسان من خيارات وتموضعات تناسب طموحه واستقلاليته ، والتاريخ يحتفي بالتغيير الذي يطرأ عليه والتحول المنتظر .

* الفردانية المنهجية Invidualisme méthodologique

حسب المقاربة التي وضعها العديد من الكتاب ، على غرار " فريدريك هايك Friedrich August von Hayek (1899- 1992)و " جان بياجيه (1896 – 1980) Jean Piaget " و " كارل بوبير(Karl Raimund Popper " (1902- 1994) و " جوزف شومبيتر Schumptr Joseph A (1883 - 1950) "إن أي واقعة اجتماعية –سواء تعلقت بالاقتصاد أو علم الاجتماع أو العلوم السياسية – لا تنجم إلا عن تفاعل مجموعة من التصرفات الفردية ، وذلك حتى عندما تدخل هذه التصرفات في سياقات محددة وتوجد في إطار من الضوابط المرتبطة بالمعتقدات أو القيم أو المعايير المؤسساتية وهكذا فإن هذه المجموعة المنظمة للروابط الإنسانية لا تعود تتشكل سلبياً تحت تأثير وزن الظروف ، بل هي تعبر عن مواجهات بين عقلانيات متباينة ، وبذلك لا يمكن اعتبار المجتمع " تكدس الانعزالات الحسابية"[31]فالأفراد يشعرون بصلة عميقة تربطهم بمجتمعهم ، فينصرفون إلى التفاعل والانسجام مع معتقدات وقيم مجتمعهم ، ومن

[30]- علاء جواد كاظم ، **الفرد والمصير ، بحث في الانتربولوجيا الثقافية** ، 2011 ، ص 21 .

[31]– جيل فيريول ، **معجم مصطلحات علم الاجتماع** ، ترجمة وتقديم : أنسام محمّد الأسعد ، مراجعة وإشراف بسام بركة ، 2011 ، ص 108) .

هذه الصلة تتكون الرغبة في الدفع بنمو مجتمعهم بنظام وتعاون وتناسق ، لتتشكل من خلاله حركة متناغمة في العمل والإنجاز ضمن الأطر الواضحة .

" لا يتعلق الأمر هنا بتعظيم الفردانية كقيمة بحد ذاتها ، ولا في نية إنكار وجود المجموعات أو الفئات أو الظواهر الجماعية ، وإنما بذكر أن أي نموذج تفسيري لا ينعم بفرصة أن يكون مناسباً بالفعل ، إن هو أهمل البعد القصدي والاستراتيجي للفاعلين (من هنا أهمية الأفكار التي تبرز حالياً ، وهي تسمى أيضاً بآراء التركيب أو التجمع) . ينبغي الحكم على هذا التوكيد الأخير على صعيد منهجي بحت : ما يهمنا هو فعالية المبدأ المعتمد ، أي بكلمة أخرى قدرته على أن يبرز أكبر عدد ممكن من الأفعال المنتظمة المراقبة ، وفي هذا السياق من الممكن أن نشير إلى بعض الملاحظات:

– يتحكم أي فاعل يوميًا بالشكوك والصراعات والتطلعات ، ويكون مرسل التأثيرات المحتملة ومتلقيها في آن واحد .

– إن مختلف الأمور الإجبارية التي ينبغي علينا أن نخضع لها تتميز بتأثير وقوة متغيرين جداً ، لأنها تطبق على وحدات ناشطة تبقي حوافزها جد متقلبة ، كما يخضع تنفيذ العمل بدوره لتدخل الاحتمال ، يتم مجرى العمل بطريقة منتظمة أو ضرورية ، أما بالنسبة للنتيجة فلا يمكن أن تستخلص كلياً من الشروط المبدئية.

– فيما يتعلق بشبكة تفاعلات معينة غالباً ما يتجلى المفضل في شكل نسبي ومقارن بتسويات محددة ومتدرجة

– بما أنه ليس فقط من المستحيل بلوغ الإتقان، وإنما أيضاً من غير العقلاني إرادة البحث عنه مهما كلف الأمر ، ينبغي أن نعرف كيف نتخلى عن التفكير بالمنطق الجازم " أي كل شيء أو لا شيء" وأن نعتمد منطق التقيمية " أي منطق " نوعاً ما[32]. " فمن تكدس الأعمال الفردية يتكون المجهود المجتمعي في البناء ، والتي تنطلق من فكرة

[32]-- جيل فيريول ، **معجم مصطلحات علم الاجتماع** ، ترجمة وتقديم : أنسام محمّد الأسعد ، مراجعة وإشراف بسام بركة ، 2011 ، ص 108) .

فرد يريد التغيير وتجاوز الأنماط التفكيرية الموروثة التي تلزمه السكون والصمت ، والخروج عن المألوف الذي تحافظ عليه الأجهزة المهيمنة على تفكير الأفراد وحركة المجتمع .

" ونضيف إلى أنه من بين أشهر الأعمال التي تندرج في هذه الحركة ، وتعطي قيمة لمثال الفهم هي مشاركات " ماكس فيبر (1920-1864)weber Max " في تحليل حيوية الطوائف البروتستانتية في أمريكا في بداية العصر ، أو " ويرنير سومبارت (1941– 1863) Werner Sombart " كان عالم اقتصاد وعالم اجتماع ألماني، ورئيس أصغر دراسة صعوبات إدخال التنشئة الاجتماعية فيما ما وراء الأطلسي ، وفي الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين ،فإن مؤلفات " مانكر أولسون Mancur Olson) " و" (1932-1998) وأنتوني بيرشال " المتعلقة بدراسة الحركات الاجتماعية ، تقع في زاوية مجاورة من خلال اعتماد إطار خروج الصوت "[33].

ما يميز المقاربة الفردانية المنهجية هو تصوراتها ومنطلقاتها النظرية حول علاقة الفرد بالمجتمع، وإعطائه أسبقية للفرد الذي يحافظ على الكثير من استقلاليته داخل المجتمع، حيت جعله بودون فوق كل الأنظمة والبنى وهو ما يسمح له بتغيير الواقع الاجتماعي باعتباره فاعلا يؤثر في محيطه الذي ينتمي إليه ، سوسيولوجيا فبودون في بعدها اهتم بالظاهرة الاجتماعية كفعل اجتماعي يتسم بالحركية والتطور والتغير، بحيث أصبح الفرد قادرًا على التغيير والتأثير وهو ما جعلها نظرية مهمة ومرجعية في الفكر السوسيولوجي لا سيما في مواجهتها للمقاربات الكليانية التي تسحق الفرد باسم المجتمع و النظام[34] .

فالفرد بحسب بودون يحمل كينونة قادرة على الاعتداد بذاتها وبإمكانها تغيير الواقع الاجتماعي ، بعيدا عن الفكر الكلياني المانع من التحرك بعيداً عن النمطية المهيئة للفرد مسبقاً ، التي تحجزه عن التفكير وتمنعه من العمل

---

[33]- جيل فيريول ، **معجم مصطلحات علم الاجتماع** ، ترجمة وتقديم : أنسام مُحَّد الأسعد ، مراجعة وإشراف بسام بركة ، 2011 ، ص 108)

[34]-الفرفار العياشي ، **الفردانية المنهجية وتقويض أسس التصورات الشمولية: سوسيولوجيا ريمون بودون أنموذجا** ، مجلة دراسات في علوم الإنسان والمجتمع – جامعة جيجل ، ص 17).

خارج القالب المعهود له ، لأن إبقاء الموروث يخدم الصنم ويمنحه عمراً إضافيًا يهيمن على حياة الناس ، ويراقب حركة التفكير بإمعان ، من ثم عمل بودون على تجاوز الأسوار ومقاومة البنى المتكتلة ضد تحرر الفرد وانطلاقه .

–مفهوم دوركايم للفردانية :

في مؤلف تقسيم العمل كما في الانتحار يفضل دوركهايم (1858- 1917) "استعمال مفهوم الأنانية على مفهوم الفردية ، ولكن المفهومين على الرغم من أنهما لا يتطابقان فإنهما مترابطان بقوة الواحد مع الآخر في تحليلاته ، إذ يقصد بكلمة الأنانية ألا تفهم (أو بالأحرى ألا تفهم دوماً) بالمعنى الخلقي ، تفهم إلى أهمية الاستقلال الذاتي المتروك للفرد في اختيار أفعاله ومعتقداته ، ويكون هذا الاستقلال الذاتي بناء للتحليلات الواردة في الانتحار متنوعاً وفقاً للبيئة الاجتماعية الثقافية التي ينخرط فيها الفرد [35] ويتفاعل معها وتتشكل من عدد من المواقف المختلفة .

" فمجموع الانتحارات حسبه التي حدثت داخل مجتمع محدد ، وضمن وحدة زمنية محددة بدلا من النظر إليها كحوادث خاصة معزولة بعضها عن بعض ، بحيث يحتاج كل منها إلى دراسة على حدة ، فسنلاحظ بأن المجموع الحاصل على هذا النحو ليس مجرد مجموع لوحدات مستقلة ، أو لجملة من النماذج ، بل إنه بحد ذاته واقعة جديدة من نوع خاص ، لها وحدتها وفرديتها وطبيعتها الخاصة " [36] فكل فرد ينحدر من ثقافة بعينها وينتمي لظروف معيشية تؤثر على اتزانه النفسي وصموده الاجتماعي فيقرر الانتحار .

يقول " لا يمكن للمجتمع السياسي بمجموعه ، كما لا يمكن للدولة أن تقوم بهذا العبء ، فالحياة الاقتصادية ليست من اختصاصها ولا تخضع لتأثيرهما لأنها خاصة جدًا ، فضلا عن أنها تمعن في التخصص كل يوم ، ولا يمكن أن ينظم نشاط أي مهنة تنظيمًا فعالا إلا من قبل جماعة قريبة بالدرجة الكافية من هذه المهنة ، حتى يتسنى

---

[35]- إميل دوركايم ، **الانتحار** ، ترجمة : حسن عودة ، منشورات الهيئة السورية للكتاب ،دمشق ، 2011 ، ص 13.

[36]- إميل دوركايم ، الانتحار ، ص 13.

لها أن تعرف صورة نشاطها ، وتحس بجميع حاجاتها وتتبع تغيراتها ، وأفضل من يستجمع هذه الشروط هو الفريق الذي يمكن أن يؤلفه كل العاملين في الصناعة نفسها مجتمعين ومنتظمين في هيئة واحدة وهذا ما يسمى بالنقابة أو بالمجموعة المهنية[37] ، فالجماعة المهنية العاملة برأيه تجسد روح الجماعة وتسهم في الإنتاج ، وليس بإمكان الفرد تحقيق ذلك .

ويعتبر دوركايم أن البروتستانت يكونون أكثر عرضة للأنانية من الكاثوليك يتلقى الأخير إيمانه جاهزاً دون تفحص ، أما البروتستانتي فهو واضع معتقده تظهر الأنانية هنا متلازمة مع " زعزعة المعتقدات التقليدية " التي عبرت عنها حركة الإصلاح أكثر مما سببتها ، ولكن تطور الأنانية لا يتعلق بالمتغيرات الثقافية ، بل نتيجة لدرجة اندماج المجموعات الاجتماعية التي يشكل الفرد جزءاً منها ، وهكذا فإن العازب ليس مثل الزوج المندمج في " مجتمع عائلي " يكمل الانتحار ويدقق التحليلات السابقة الواردة في تقسيم العمل ، والأطروحة الرئيسية للتقسيم هي أن تطور الفردية يكون بالفعل نتيجة للتعقيد المتنامي لتقسيم العمل ، وبما أن تقسيم العمل كان قليل التطور في المجتمعات القديمة فإن الأفراد كانوا قليلي التمايز ، وكان التضامن الذي يشدهم إلى بعضهم من النمط الآلي وبتعابير أخرى يتعلق الأمر بتضامن مستند على التشابهات ، في هذه الحالة يميل النظام الثقافي إلى تقييد ظهور الأنانية ، فالفرد يكون مندمجاً في المجموعة بواسطة معايير وقيم محددة بشدة ودقة ، تفرض نفسها عليه بوضوح لا يسمح له بوضعها موضع الشك[38].

تقسيم العمل في أوربا دفع الفرد إلى الإغراق في الذاتية والبعد عن سمات التضامن التي ميزت المجتمع التقليدي في تناوله لموضوع التضامن كان دوركايم مهتماً بما يجعل المجتمع متماسكاً، المجتمع الذى يتميز بالتضامن الآلي موحد لأن كل الناس عموميين، والرابطة بين الناس تتمثل في أنهم جميعاً يؤدون نفس المهام ولهم مسئوليات متشابهة، على

---

[37]– إميل دوركايم ،**في تقسيم العمل الاجتماعي**، ترجمه من الفرنسية إلى العربية حافظ الجمالي ، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع ، بيروت ، 1982 ، ص 14.

[38]- جيل فيريول ، **معجم مصطلحات علم الاجتماع** ، ترجمة وتقديم : أنسام مُحَّد الأسعد ، مراجعة وإشراف بسام بركة ، 2011 ، ص 108).

النقيض من ذلك، المجتمع الذى يتميز بالتضامن العضوي متماسك بالاختلاف الموجود بين أفراده لأن لهم مهام ومسئوليات مختلفة، لأن الناس في المجتمع الحديث يؤدون مهاماً محدودة نسبياً فانهم بحاجة إلى أناس آخرين متعديدين للبقاء.[39] فالفارق واضح بين المجتمع التقليدي والمجتمع الحديث هذا الأخير الذي أجبر الفرد على تقبل الفردانية وتغذيتها بالهجرة من البلد الأم ، وحاجة المغترب إلى الاعتداد بذاته في القيام بشؤونه والاكتفاء بذاته وتلبية متطلبات العمل الذي يحتاج إلى الجهد الجماعي المتضامن و"لقد حاول دوركايم، من خلال تقسيم العمل الاجتماعي، أن يعترض على عمل سبنسر، وعلى كل الذين حاولوا تفسير التعقد المتزايد لتقسيم العمل برده إلى انعكاساته الإيجابية على الأفراد والمجتمع ، ويعتبر دوركايم أن تقسيم العمل يتطور تاريخياً ، ليس لأنه إيجابي أو نافع ، ولكن سيرورة ميكانيكية تحيله إلى الأنموذج الداروينى المتطور "[40]

*تاريخ الفردانية The history of individuality :

كرست الكنيسة نفسها كسلطة مطلقة تتحكم في الإنسان الأوربي وتهيمن على كل شؤونه الحياتية وبات المجتمع الغربي يتنفس هواءها ويفكر تفكيرها ولا تسمح له بالمضي بعيداً عن نمطيتها وقوالبها " فقد أدى ضعف أباطرة الرومان ثم انهيار الإمبراطورية الرومانية في الغرب سنة 467م إلى ازدياد سلطة الكنيسة ، وارتفاع شأن البابا في أوربا ولذلك سيطرت الكنيسة على التعليم في المدارس واحتكرت لنفسها تأويل الكتاب المقدس وأدانت كل من جاهر بحقيقة لم تقرها من قبل ومن لم يذعن لها تحيق به اللعنة ، وساعدها على ذلك أن الملوك والأباطرة سلموا بسياستها في اضطهاد المخالفين " [41].

---

[39]- إميل دوركايم ،**في تقسيم العمل الاجتماعي**، ترجمه من الفرنسية إلى العربية حافظ الجمالي ، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع ، بيروت ، 1982 ،ص 14.

[40]- **الدين والمجتمع ونظرية المعرفة ، قراءات معاصرة في أعمال إيميل دوركايم** ، تقديم وتنسيق يونس الوكيلي ، 2015، مؤمنون بلا حدود، ص70.

[41]- أحمد علي عجيبة ، **أثر الكنيسة على الفكر الأوربي** ،دار الآفاق العربية ، ط1، 2004، ص 6 .

ذكرت المستشرقة الألمانية (زيغريد هونكة) بعض تلك الحقائق فقالت : في أيام حكم القيصر"فالنس" سنة "336 حُولَ متحف الإسكندرية إلى كنيسةٍ، وسُلبت كتبته، وطورد فلاسفته بتهمة السحرِ والشعوذة وفي عام 381م أخذ البطريرك "تيوفيلس" من القيصر"تيودوسيو" إذن بتخريب"السرابيون"، أكبر ما تبقى من الأكاديميات وآخرها، وإشعال النيران في مكتبته. وأخذت الكنيسة تزداد فى أعمال محاكم التفتيش وإعدام مئات وآلاف الكتب العلمية والعلماء ومنهم جيوردانو برونو والذى تم إعدامه حرقـا وتم اتهامه بالإلحاد مع أنه كان يقر بالألوهية[42]

غمرت الكنيسة الفرد والمجتمع معاً ولم يكون لهما وجود معتبر ، إلا ذلك الوجود المسلوب المقهور الذي يجد فيه الفرد نفسه خاضعاً للقسيس ومرتهناً بإرادة الكنيسة وينتظر قرارها الصادر إزاءه ، وظل هذا الوضع المهين للفرد في أوربا زمناً طويلا ، حتى بدأت المحاولات تتوالى في فك الارتباط بالكنيسة " ومع تقلص قوة هياكلها السلطوية نمت النزعة الفردانية تدريجيًا –في اليونان تحديدًا– كنتيجة معاكسة لتأثير كل هذه القيود الفكرية والاجتماعية والتي مهدت إلى تحدي السلطات الحاكمة وخلق منظومة جديدة تعبر عن استقلال الفرد واعتماده على نفسه في تقرير مصيره ، ومنذ ذاك الوقت، تبنت المجتمعات الغربية هذه السياسة في علاقاتها وأفكارها، ودخلت الفردانية في دراسة علوم كثيرة مثل علم النفس والاجتماع والفلسفة، واتخذت مساحات واسعة من كتب ونظريات العلماء والفلاسفة المؤيدين لهذه النظرية والمخالفين لها، وبدأ العالم يتساءل حول طبيعة العلاقة بين الفرد والمجتمع أو الدولة، فهل يجب أن تكون الأولوية للفرد على الدولة، أم العكس تمامًا"[43].

وبدأ التفكير يعيد بناء العلاقات من جديد ويبحث عن الذات المستقلة القادرة على التحكم في زمامها بعيداً عن أي سلطة مهيمنة ، وبعيداً عن ضغط المؤسسة الكنسية ورجالها الذين قهروا الإنسان الأوربي قروناً عديدة وجهروا بمعاداة العلم والعلماء وأمعنوا في حماية الفكر الكنسي الجامد الذي يسفّه أي فكر من شأنه التحرر من

---

[42]-زيغريد هونكه ، **شمس الله تسطع على العرب ، فضل العرب على أوربا** ، ترجمه وحققه وعلق عليه فؤاد حسنين علي ،دار العالم العربي ، القاهرة ، ط2 ، يناير 2008 – محرم 1429 م ، ص 268 .

[43]- نور علوان ، حفصة جودة ، الفردانية: **سلطة المجتمع أم سيادة الذات؟** ن بوست ، 2018/01/17).

المعهود والتمرد على المألوف من الخيارات الدينية والسياسية والاجتماعية التي تؤخر الانطلاق نحو التقدم ونمو المعارف المناقضة لمعارف الكنيسة ، و" صديق البطريرك الأنطاكي وهو " سفيروس " SEVERUS يعترف دون خجل كيف أنه وصديقه كثيراً ما اقترفا أيام شبابهما في القرن الخامس الميلادي وفي الإسكندرية حيث كانا منضمين إلى هيئة مسيحية كثيراً من الآثام والجرائم الخلقية ضد العلماء الوثنيين وضد دور عبادتهم ، فقد كسرا أنصاب آلهتهم وخربا معابدهم ، وهكذا نجد مراكز الثقافة الهلينية يختفي الواحد بعد الآخر ، ففي عام 529 م أقفلت آخر مدرسة للفلسفة في أثينا ، وفي عام 600 اخترقت في روما المكتبة التي أسسها " اغسطس "كما حرم تدريس أدبيات الأقدمين وعلومهم وبخاصة الرياضيات "[44].وسمحت بمعارف تقدس الكنيسة وتمجد أفعالها غير الأخلاقية مع العلم والعلماء ، وباستمرار العنت الكنسي أحس الناس بضرروة التغيير .

***القرن الخامس عشر** :

عنت كلمة الفرد في القرن الخامس عشر أو قبله، وحتى اليوم في حقل الإحصاء والميتافيزيقيا « ما لا يتجزأ » واصفةً أي عدد مفرد، ولكن قد تعني في بعض الأحيان «شخص» الذي يعطي معنى اجتماعياً للفرد وحين اخترعت" المطبعة في منتصف القرن الخامس عشر مهدت بشكل كبير إلى تشكيل الفردانية، لأنها أتاحت الفرصة لنشر الأفكار " ففي عام 1440 بدأت عملية الطباعة الآلية في ألمانيا على يد فريق برئاسة يوحنا غوتنبرغ ، وكان عمل الأخير تطوير الطباعة على القوالب الخشبية التي يقوم بها الصينيون حيث استفاد من خبرته في صياغة الذهب على تكوين القوالب المعدنية للطباعة خلال قرن واحد كانت الطباعة قد انتشرت بشكل كبير في كثير من أنحاء العالم[45].

---

[44]– زيغريد هونكه ، **شمس الله تسطع على العرب ، فضل العرب على أوربا** ، ترجمه وحققه وعلق عليه فؤاد حسنين علي ،دار العالم العربي ، القاهرة ، ط2 ، يناير 2008 – محرم 1429 م ، ص 268.

[45]- صخر الغزالي ، **القراءة وأثرها في بناء الوعي**، مدونات الجزيرة 2016/12/2).

مما ثمّن من اللغة الفردانية في المجتمعات وعظم النظرة الاجتماعية للفرد وتوجهاته، وقبل هذا كله، في القرن الرابع أو أوائل القرن الخامس وجد كتاب للقديس أوغسطين " الذي اعتنق المسيحية بعد أن تنقل بين مختلف الأديان الوثنية والمذاهب الفلسفية ، ونادى بوجوب إخضاع العقل للإيمان الديني " [46](كتب آرائه الشخصية حول الكتاب المقدس وعبر عن وجهة نظره فيه، " وشحذ أفكاره الكنسية وطور نظرية عن الإكراه الديني الذي تأسس على الفهم المقصود للحب المسيحي ، وكان على علم بالحركة البيلاجيانية (سميت باسم بيلاجيوس البريطاني الزاهد) حوالي عام 412 ، وقد سعى مع زملائه من الأساقفة الأفارقة إلى إدانتها باعتبارها حركة هرطيقية عام 418، وبينما لم ينكر هؤلاء أهمية النعمة الإلهية ، فقد أصر بيلاجيوس وأتباعه على أن الإنسان بطبيعته حر وقادر على عدم ارتكاب اثم محتمل "[47] يؤكد أغسطين على حرية الإنسان وامتلاكه زمام نفسه ، وباستطاعته أن يتجنب الفعل غير المرغوب ، ويجب على كل فرد، أن يحصل على نعمة الرحمة إذا أراد الحصول على الخلاص الأبدي ويمكن للمرء أن يرى موقف الفردانيَّة في أوغسطين، ولكن مَنْح نعمة الرحمة على النحو الوارد، وليس كسبها، قد أوجدت دائماً ظلالاً من القلق الروحي. [48] يفضي دائماً إلى البحث عن الذات ومحاولة كسبها ، لا مجرد الإحساس والشعور بها .

***القرن السابع عشر:**

تطورت الفكرة مع جون لوك جون لوك John Locke 29 أغسطس 1632 – 28 أكتوبر 1704) وبرنارد ماندیفیل وديفيد هيوم، David Humeواحتلت مساحة جيدة في أعمال يوشيا تاكر وآدم فيرغسون وآدم سميث وأدموند بورك، وهذا بين نظريات رافضة لهذه المنظومة، وآراء أخرى تساند هذا التوجه. " [49] هاجم

---

[46]– كامل مُحَمَّد مُحَمَّد عويضة ، **أوغسطين فيلسوف العصور الوسطى** ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1، 1413هـ-1993م ، ص 10 .

[47]- حكمة ، ترجمة ناصر الحلواني ، تحرير تركي الطوهري ، **القديس أوغسطين** ، موسوعة ستانفورد للفلسفة ، ص8.

[48]-الصادق الفقيه ، **اختراع الفرد.. أصول الليبراليَّة الغربيَّة** ، 10 يونيو، 2020 ، موقع التنويري الالكتروني ، ص 20.

[49]– نور علوان ، حفصة جودة ، **الفردانية: سلطة المجتمع أم سيادة الذات؟** ن بوست ، 2018/01/17)

لوك الآراء المتعلقة ب" بالحق المقدس للملوك " التي طرحها فيلمر ونادى بحرية الإنسان في تقرير مصيره وبالمساواة بين الناس في الحقوق الطبيعية ، وأيد لوك هجومه بفكرة العودة إلى نظام الأسرة القديمة ونظام الحكم فيها ، وكيف عاش الناس في حالة الفطرة على الطبيعة ينعمون بحياة يسود فيها حب الخير والتسامح ، والعمل المتبادل ، والقناعة ، ومراعاة حقوق الاخرين ..، وصار مبدأ الحرية هو مبدأ الفطرة " [50]الذي جبل عليه الفرد أول مرة ولا يمكن الاستغناء عنه ، حتى وإن خمدت فيه ردحًا من الزمن ،إلا أنه سرعان ما يستعيدها ويتمثل حقائقها ويستجيب لتداعياتها ، لأن الحرية جزء من ذاته بل هي الذات في تحررها من كل معيق ومانع يصد نماءها واستمرارها ، فيما بعد القرن السابع عشر، أصبح معنى كلمة فرد هو الانفصال، كما في الفردانية، الفردية هي الحالة أو الوضعية لكون الفرد فردًا الشخص المفصول عن كل شيء ذو شخصية فريدة عن طريق امتلاكه لحاجات، أهداف، ورغبات خاصة بالمقارنة مع أشخاص آخرون.

***القرن الثامن عشر:**

يظهر في هذه الحقبة ديفيد هيوم (1711 – 1776) David Hume نُشر له الجزءان الأول والثاني من كتابة " الطبيعة البشرية "عام 1739 م، ثم نُشر الجزء الثالث عام 1740م؛ وأخرج في عام 1751 م كتابه الثاني " الرسالة " ولقد عبَّر فيما بعد عن عجبه أن صدر " الرسالة " يعيد به مادة الجزء الثالث من أجزاء هذا البحث في مبادئ الأخلاق دون أن يسترعي من النقد ما هو جدير به من اهتمام، مع أنه في رأيه أعظم جزء في إنتاجه كله بشتى أنواعه من فلسفة وأدب وتاريخ، بل إن المقارنة– في رأيه – لا تجوز بين هذا البحث وأي جزء آخر من إنتاجه، لأن بُعْد الشُّقة بينهما لا يجعل سبيلا إلى المقارنة العادلة [51].

---

[50]- راوية عبد المنعم عباس ، **جون لوك إمام الفلسفة التجريبية** ، لبنان ،دار النهضة العربية للطباعة ، 1996 ص 105

[51]- زكي نجيب محمود ، **ديفد هيوم** ، مؤسسة هنداوي ، 2021، ص 18.

شكلت فلسفة ديفيد هيوم في مشروعه الخاص بالطبيعة البشرية، حجر أساس في الفلسفة التجريبية الإنجليزية حيث حاول اختبار مختلف الفروض الميتافيزيقية وفق المنهج التجريبي، وإعطاء تفسير وضعي لأصل الأفكار لإنشاء نظرية للمعرفة البشرية، نستطيع من خلالها تتبع أصل أفكارنا ودراستها دراسة جدية [52](بركاني رابح ، بركاني مُحَّد أمين ، المقدس في فلسفة ديفيد هيوم ،مجلة انتربولوجيا ، مجلد 7 ، عدد 1، 2021ص 93). تُعدّ فلسفة هيوم لحظة فارقة في صيرورة الأنوار، إذ لم تكن استفاقة كانط من سباته الدوغمائي إلا خلاصة متأنية لقراءة رسالة في الفهم البشري، وهي القراءة التي حينت سؤال الفلسفة النقدية وتتابعاته التي شملت حقولاً إنسانية أخرى، ونعني بها الأخلاق والدين، فأمام عسر التدليل على وجود الله، يحتمي فيلسوف كوسمبرغ بالدليل الأخلاقي، وقد أصبح الدين تابعاً للأخلاق، بعدما فصله هيوم عن كلّ ممكن معرفي وهنا يدخل العقل الغربي في مرحلة تعميم الانفصال عن الدين، عندما يصبح الإنسان علامة على القانون الأخلاقي[53].

وبالنسبة إلى هيوم فهو ينتقد الدين الطبيعي، لن يصلح إلا لعدد قليل من الناس، المثقفين والذين لديهم فراغ ملائم، من الأمان والتفكير ، إن الدين الطبيعي، ينفي أية قيمة للوحي، ويؤكد قيمة الخالق والسلوك العقلي، فهو تعبير شاع في القرن الثامن عشر، يشير الى الاعتقاد في وجود إله، وخلود الروح، دون الاعتقاد في الوحي والنبوة " "فهو مجموعة اعتقادات بوجود إله، وروحانية النفس وخلودها، وبالطابع الالزامي للعمل الاخلاقي، على اعتبارها كلها من وحي الوعي والنور الداخلي، الذي ينور كل إنسان وبرأي هيوم: حب الحقيقة منبع هذا الدين هي الرغبة في رؤية عالم منظّم ينبني على قناعات ذاتية للفلسفة، غير يقينيةّ، على الرغم من ذلك فإن الدين الطبيعي غير مقنع، يماثل بين الإنسان والله وهو دين ليس عمليًا، على عكس العوام الكادحين، الذين ينشغلون برؤى الفلسفة غير المقنعة.[54] والإيمان بالدين حسب المعجم الفلسفي " تعني الفردانية العام ما يتميز به فرد عن آخر من

---

[52]- بركاني رابح ، بركاني مُحَّد أمين ، **المقدس في فلسفة ديفيد هيوم** ،مجلة انتربولوجيا ، مجلد 7 ، عدد 1، 2021ص 93.

[53]–نورة بوحناش ، **ديفيد هيوم ونهاية المقدس**، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث ، 5 يوليو 2016، الموقع الالكتروني .

[54]- عامر شطارة ، **الفردانية في الفلسفة الحديثة كيركيجارد أنموذجاً** ، جانفي ، 2014، ص 519.

الصفات الجسدية والمعنوية ، وهي مجموع الصفات التي يتميز بها الفرد عن أفراد نوعه أو مجتمعه وهي أيضاً التوجه الذي يشدد على فكرة استقلالية واعتماد الفرد على نفسه في اتخاذ قراراته ، حتى وإن عارضت هذه الأهداف المؤثرات الخارجية (الدولة ، المجتمع ، أو المؤسسات) رأي مجموعة أخرى على اختياره الشخصي التي تؤكد القيمة الأخلاقية للفرد وتميزه عن المجموع ، فهي سمة المجتمع التي يمثل فيها الفرد القيمة العليا [55].

***القرن التاسع عشر** :

عاش المجتمع الرأسمالي منذ نهاية القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين —سلسلة من الأزمات الاقتصادية والسياسية ، ورافق تلك الأزمات انهيار مذاهب فلسفية وصعود مذاهب وتيارات متعددة ، وكانت في معظمها تعبيراً صارخاً عن أزمة الإنسان في المجتمع الرأسمالي حي فقد الإنسان إحساسه بالمستقبل وشعر بالضياع والاغتراب ، وعانى من أنواع شتى من أنواع الاغتراب مثل اغترابه عن منتوجاته التي صارت تشكل تهديدًا لحياته بعد أن أنتجها ، واغترابه وسط الآخرين حين رأى أن المجتمع يعير اهتماماً للفرد ، فهو آلة تعمل ضمن ملايين الآلات البشرية في المعامل والمصانع ، يستغلها الرأسماليون وأداة قتل يستعملها الاستعماريون في حروبهم التوسعية سواء داخل أوربا أو خارج حدودها "[56].

في القرن التاسع عشر دخلت كلمة " الفردية " لأول مرة على اللغة الإنكليزية كصفة تحقير، استخدمت من قبل الأوينتيز) بالإنجليزية" Owenties " في نهاية الثلاثينيات من القرن 19، على الرغم أنه من غير الواضح إذ ما تأثروا ب السيمونية بالفرنسية "saint-simonisme : " أو أنهم ابتدعوا المصطلح بشكل مستقل استخدم المصطلح إيجابياً في بريطانيا، من خلال كتابات جيمس أليشاما سميث، JAMES SMITH الذي كان ملياري) بالإنجليزية millenarian وإسرائيلي مسيحي على الرغم من أنه من أوائل الأوينتيز الاشتراكيين ولكنه رفض في

[55]- عامر شطارة ، **الفردانية في الفلسفة الحديثة كيركيجارد أنموذجاً** ، جانفي ، 2014، ص 519.

[56]– حسن الكحلاني ، **الفردانية في الفكر الفلسفي المعاصر** ، مكتبة مدبولي ، 2004 ، ص 10.

نهاية المطاف فكرة الملكية الجماعية، ويرى بأنه من دون الفردية لا يمكن للأفراد أن يكدسوا ملكيتهم ليزيدوا بذلك سعادتهم ، وأتت الابتكارات التكنولوجية المذهلة والسريعة، والتي عززت الشعور بقدرة الفرد على أن يكون معزولاً عن الحياة دون أن ينفصل عن كل ما يحدث فيها، وقدرته على أن يكون بمفرده، جزيرة نائية بمقاييس رغباته تماماً، يأتيه المأكل والملبس وكل احتياجاته الأخرى إلى باب منزله، بل والعمل من مخدع نومه، منزوٍ في ركن في الحياة بين مليارات من "الجزر البشرية" الأخرى... مثله، كما أدخلت التكنولوجيا تعديلاً خطيراً على سلوك الإنسان المعاصر، يتمثّل في مقدرته على "الاستغناء" والاكتفاء بذاته، بتوفير البدائل التكنولوجية، كل ما قد يفعله الآخر لنا بإمكاننا الحصول عليه عن طريق التكنولوجي.

وليام ماكول، William Cameron McCool واعظ موحد آخر، غالبا أحد معارف سميث، لكنه ظهر في وقت لاحق، تأثر أيضاً بكل من جون ستيوارت ميل John Stuart Mill)-1806-1873) الذي يعد " من أهم الفلاسفة الذين كتبوا عن الحرية وانتصروا للفرد في وجه سطوة المجتمع وطغيان الأغلبية، وكان مؤلفه " **عن الحرية** " الذي خصصه لهذا الموضوع بمثابة مرافعة فكرية عن الحرية أجهد نفسه فيها لدحض كل الآراء التي تبرر تقييد المجتمع لحرية الفرد دون أي وجه حق لمجرد الاعتقاد في صواب رأي الجماعة ، ويرى ميل بهذا الصدد أن رأي الأغلبية ليس بالضرورة صحيحًا ومن الممكن أن يخطئ الناس وإن كانوا أكثرية، لأن كثرة العدد ليست سلطة منطقية ويؤكد أن السبيل الوحيد لإدراك صواب رأي من عدمه هو عرضه على محكمة الدليل والبرهان "[57] .

ولم يقتصر اهتمامه على الجانب النظري وحده الذي تمثل في كتابيه " عن الحرية " و" استعباد النساء " وغيرهما بل تعداه إلى الجانب العملي ، عندما حاول أن يدخل معترك السياسة وانتخب عضواً في البرلمان عن دائرة وستمنستر في لندن "[58].

[57]- جون استيوارت مل ، **عن الحرية** ، ترجمة هيثم كامل الذبيدي ، ص 12.

[58]- جون استيوات مل ، **استعباد النساء** ، ترجمة إمام عبدالفتاح إمام ، ص 8.

توماس كارليل(1871 - 1795 Thomas Carlyle كان لأعماله تأثير كبير في العصر الفكتوري وقد تأثر بفلسفة المثالية الألمانية أيما تأثر، وقد انصب اهتمامه على أعمال الفيلسوف الألماني جوهان جوتليب فيخته كما أنه خص نفسه بالأدب الألماني بكتابة سلسلة من المقالات في مجلة فرايزر حيث ترجم عن مؤلفين ألمان ولاسيما يوهان فولفغانغ فون غوته ليكون ذلك بداية لحياته الأدبية الحافلة، وكما ترجم عن حياة الشاعر الألماني فريدرش شيلر عام 1823 ، كتب عن الثورة الفرنسية وقد حقق كتابه نجاحاً مبهراً وكانت هذه بداية كتابته التي توالت من بعدها الأعمال العديدة التي كتبها في لندن.ويبدو من هذا العرض السريع لكتاب الأبطال وعبادتهم أن كارلايل لم يستطع أن يختار بطلاً واحداً في مجال واحد، فقسم البطولة في ذلك المجال بين شخصين أو أكثر، باستثناء البطل إلهاً أسطورياً أودن والبطل نبينا مُحَمَّد" أقرأ أقل والرومانسية الألمانية، واستخلص نفس النتائج الإيجابية التي استخلصها سميث حول الفردية، في كتابه الذي نشر عام 1847 "عناصر الفردية[59]."

-الفردانية والجمعنة :

يقارن علماء الاجتماع اليوم بين مفهوم الجمعنة Sociabilité وبين مفهوم الفردانية ، ويعني مفهوم الجمعنة الحالة التي يكون فيها الفرد صورة نسخة متكررة عن الجماعة التي ينتمي إليها ، ومن هذا المنطلق يجري الحديث عن الفردانية بوصفها الحالة التي يكون فيها الفرد كياناً مستقلا ومتفرداً عن الجماعات التي ينتمي إليها ، وقادر على اتخاذ قراراته استناداً إلى إمكانياته الخاصة وقدراته المستقلة عن أفراد الجماعة الآخرين الذين ينتمي إليهم الفرد فالفردانية هي نزعة أو سلوك يؤكد على الخصائص الذاتية للفرد وعلى سماته ومميزاته الخاصة ، وذلك بما يتعارض مع ما هو جمعي وعام ومشترك ، وهذا يعني في النهاية أن الفرد – وفقاً لمفهوم الفردانية – كائن إنساني يمتلك

[59]- ويكيبيديا الموسوعة الحرة برخصة المشاع الإبداعي .

وحدته الداخلية ويؤدي وظيفته كنسق ونظام متكامل ويمتلك استقلالية خاصة في دائرة الوسط الذي ينتمي إليه [60].

كينونته الذاتية تجعله مقابل الجماعة يفكر غير تفكيرها ويتخذ قراراته بعيداً عن إرادتها ، ولا يشعر بتلك الحاجة إلى مساندتها ودعمها ، فيتخفف من ضغطها وإرهاقها له ، ويمارس حريته الفردية ممارسة واعية ويبذل طاقاته فيما يريد ويشعر بحاجته إليه ، " وترمز الفردانية إلى واقع اجتماعي وثقافي يستطيع فيه الناس بوصفهم أفراداً اختيار طريقة حياتهم وسلوكهم وممارسة عقائدهم كما ترمز إلى مجتمع فيه النظام الاجتماعي والقضائي وحماية حقوق الناس بوصفهم أفراداً غير مكرهين على التضحية او التنازل عن شيء يعتقدون به "[61].

نقد الفردانية :

رغم أن الفردانية كانت نصراً كبيراً للعقل الأوربي الذي رزح كثيراً تحت أغلال الكنيسة ورجال الدين ، وتمكن من استرجاع حريته المسلوبة ، وانضوى تحت قيم يستمد منها استقلاله ، إلى درجة المغالاة بهذه الحرية والاعتداد بالذات والاستجابة للاستقلال التام عن كل ضغط كنسي من شأنه تكبيل الإرادة ، والخروج بهذه الحرية عن الضوابط الأخلاقية التي يحتكم إليها في الثقافة الأوربية ، ونتج تطرف آخر في فهم الفردية والحرية الجديدة التي شكلت تحولا عميقاً في الوعي الفكري والثقافي والاجتماعي، دفع إلى ظهور مشكلات مهددة للنسيج الاسري والاجتماعي ، وقد انبرى لنقد الفردانية عدد غير قليل من المفكرين على اختلاف مشاربهم الفكرية وخلفياتهم الفلسفية .

نقد علي شريعتي :

---

[60]- علي أسعد وطفة ، المرجع ذاته ، ص 3.

[61]- نورة عابد ، **مفهوم الفردانية في الفكر الفسفي المعاصر** ، مخبر الفلسفة وتاريخها ، جامعة وهران ، ص2.

في كتابه " النباهة والاستحمار" يضرب المفكر"علي شريعتي" مثالا لكثير من القضايا التي يدافع عنها الإنسان المعاصر، دون أن يكتمل فهمه لها، فيقول: " إنهم ينادون بالحرية الفردية، ويدعونك لها من أجل تمويه الأذهان، والغفلة عن النباهة الاجتماعية، حيث يرى الإنسان نفسه حرًا من الناحية الفردية في غذائه وشهواته، كقفص فيه طير، وقد وُضع فى صالة مغلقة تمامًا، ثم فُتح باب القفص، إنه شعور كاذب بالحرية، لأن الأسير الذى يعلم أنه مأسور يحاول أن يطلق نفسه، ويتحرر من الأسر، بينما الذى لا يشعر أنه أسير ويشعر بالحرية، فشعوره وهم وكذب" [62] شعور كاذب بالحرية يحسبه الغربي أنه يعبر عن حاجاته ومتطلباته ، ولكنه تردي أخلاقي انتهى إليه السلوك الفردي في الغرب ، فبدل النباهة إلى توظيف حريته في البناء المجتمعي والتمسك بالفضائل ، ينغمس في المتع والشهوات ويعتبرها حرية شخصية حصلها من خلال المطالبة والاحتجاج والتضحية "ومن بعد عصر النهضة وفي أعقاب تنامي الطبقة البرجوازية تغلبت الثقافة البرجوازية بما تعنيه من نزعة الحرية الفردية على الكنيسة ، وبهذا الانتصار الساحق الذي اجتاح السيادة الروحية والحقوقية والأخلاقية للكنيسة والدين انهارت بشكل تلقائي هذه القاعدة التي طالها الهجوم البرجوازي ذاك ، وانهارت على إثر ذلك جميع القيم المنحرفة وحتى التقاليد الإنسانية الإيجابية منها والسلبية المتعلقة بالمرأة وكانت تحظى من قبل بالحماية باعتبارها معلماً من معالم الدين وطرحت في أعقاب ذلك على الفور فكرة الحرية الجنسية ، ولما رأت المرأة أن شعار الحرية الجنسية يحطم جميع الأغلال التي كانت تكبلها رحبت بها أشد ترحيب إلى أن دخلت برمتها في إطار البحث العلمي [63] .

- نقد طه عبد الرحمن :

يرى "طه عبد الرحمن" في كتابه " بؤس الدهرانية" أن الحداثة الغربية التي أقامت مشروعها على الدنيا والمادة سعت لتعطيل دور الدين في مجالات الحيوية، وكان الفصل أحد أدواتها ووسائلها، وكان أبرز مجالات الفصل:

---

[62]- علي شريعتي ، **النباهة والاستحمار** ، ط1، 1404- 1984م ، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، لبنان ، ص 88 .

[63]- علي شريعتي ، **مسؤولية المرأة** ،ترجمة خليل الهنداوي ، حققه وحرره للنشر مُحَمَّد حسين بزي ، دار الأمير للثقافة والعلوم ،العراق ،1428 – 2006 ، ص 18 .

الدين عن العلم، والسياسية عن الأخلاق، كذلك أصبح الفرد يعيش تصورات جزئية، تظلله رغبة عدم المشاركة مع الآخرين، واتسم طابع حياته بالأنانية، والرغبة في التحلل من قيود المسئولية الاجتماعية، لذا كان العزوف الكبير عن الزواج، والتخلي عن مسؤوليات الأسرة[64]، وتفشي المثلية والشذوذ وارتفاع معدلات الجريمة "ونشر الشذوذ الجنسي في العالم سبقه إعلان الحرب على الأسرة من خلال تمييع مفهومها، والترويج لمفهوم "الجندر". يقول أحمد خضر "تكمُن خطورة تعريفات الجندر في النظرة إلى الأنوثة والذكورة بالمعنى العضوي، منفصلة عن البنية النفسية والأدوار الاجتماعية للأفراد، وأن هذه الأدوار هي مفاهيم اجتماعية مكتسبة وليست لها علاقة بالطبيعة العضوية والفسيولوجية لكلا الجنسين " [65] ومحاولة تفكيك منظومة القيم برمتها وإخراج الفرد والمجتمع من السياقات الطبيعية للنفس البشرية وتدمير الفطرة الإنسانية ومحاولة إنتاج واقع جديد لا يمت بصلة إلى الأخلاق المتعارف عليها بين البشر.

ولا تنفع في مواجهة الأزمات الأخلاقية والهزات القيمية التي تتعرض لها المجتمعات في تقلب أحوالها ، وتوضيح ذلك التضاد بين " الفرد " والمجتمع " الذي رسخته بعض الفكرانيات في عقولنا تقابل في غاية الفساد ، إذ أنه ناتج عن المزايدة المذهبية بين هذه الاتجاهات أو الغلو في المعتقدات ، والحق أننا لا نجد فرداً بغير جماعة ، حتى ولو لم نرها بأعيننا تحيط به من كل جانب ، لأنه يحملها معه في مختلف ملكاته ومداركه شاء أم أبى ، ولا بالأحرى نجد جماعة بغير أفراد ينتمون إليها وينتظمون فيها حتى ولو فنوا عن مصالحهم من أجل بقاء مصالح الجماعة ، نظرًا لأنه لولا هذا الفناء الفردي لما كان ثمة بقاء جماعي "[66] ، فالفرد لا ينعزل عن الجماعة برأي طه عبدالرحمن ولا يمكن تصور أحدهما إلا بوجود الآخر ، وفكرة الصدام أو الانفصال هي محض وهم في التفكير أو محاولة الانتقام لمرحلة طغت فيها الجماعية على الفردية .

---

[64]- طه عبدالرحمن ، **بؤس الفردانية ،النقد الائتماني لفصل الاخلاق عن الدين**، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت ، 2014 ، ص 14.

[65]- محمد خاطر ، **طريق الهاوية.. من الإباحية إلى المثلية** ، الجزيرة نت ، 7- 12- 2021.
2021/12/7

[66]- طه عبدالرحمن ، **بؤس الفردانية** ، ص 14.

نقد يوفال نوح هراري Yuval Noah Harari

يذكر في كتابه " الإنسان الإله: موجز تاريخ الغد Homo Deus: A Brief History of Tomorrow في أن المستقبل سيكون مرتبطا بعلاقة الإنسان بالآلة، أما علاقاته الاجتماعية فتضمر وتتآكل ويرى" هراري" أن كل دين جديد يقوم بالتخلص من المقدّس القديم، واتخاذ مقدّس آخر، والفردانية استبدلت الخالق–سبحانه وتعالى– بالإنسان، فأصبحت ذات الإنسان محل التقديس والعبادة، كذلك فهذا الدين الجديد "الفردانية" أوجد له أنبياء مثل الأديان يستند إلى أفكارهم ومقولاتهم، كما سعت الفردانية من خلال الليبرالية ليصبح الفرد هو المرجع في الإنتاج والاستهلاك، ومن خلال الديمقراطية ليصبح الفرد هو المرجع في الحكم وأصبحت حقوق الإنسان هي الأيديولوجيا " للديانة الفردانية"وهو ما سيفقد البشرية معناها، بعدما جعلت الآلة غالبية البشر فائضين عن الحاجة[67] .

- **نقد اندريه كونت – سبونفيل** André Comte-Sponville

أشار الفيلسوف الفرنسي '' أندريه كونت–سبونفيل " في كتابه "هل الرأسمالية أخلاقية؟ Le capitalisme est-il moral ? '' إلى أن :" النزعة الفردية تولد مستهلكين من أحسن طراز، فما دام رخاء العيش مطلوبًا فإن ولادة المستهلكين الجيدين تستلزم منتجين من ذوي الكفاية على الأقل، لذلك نقول إن مجتمعنا ليس مهدداً بما هو نظام اقتصادي، من هذا الجانب فهو قادر على البقاء لبعض الوقت على الأقل، لكن من شأنه أن يخفق في اكتساب معنى" [68]الذي يبرر له وجوده ويفسر له ماهية حياته ، وينبهه إلى القيم المتضمنة في الاستهلاك والعلاقات البينية .

---

[67]- مصطفى عاشور ، **الفردانية وازمة الإنسان المعاصر** ، اسلام اون لاين ، الموقع الالكتروني .

[68]-- اندريه كونت – سبونفيل، **هل الرأسمالية اخلاقية** ، ترجمة بسام حجار ، دار الساقي – بيروت ، 2005، ص 38.

ويرى في ظلِّ موجة "الإلحاد" التي ضرَبت المجتمع الغربي، واستشراء نزعة "الفردية" في المجتمع الغربي المتماشية مع الرأسمالية – لَزِمت الحاجة إلى العودة إلى نظام أخلاقي أو أخلاقيَّات سُلطويَّة "فحاجتنا إلى الأخلاق تَزداد كلَّما قلَّ تمسُّكنا بالدين"،[69] يَعترف بأنَّ جوهر الرأسماليَّة، هو الأنانية والأثَرة الفرديَّة في تكديس رأس المال وخلْق الثروة واحترام الملكيَّات الخاصة، فالرأسماليَّة هي نظام اقتصادي فائدته أنه بالثروة يُنتج المزيد من الثروة...ثروة مولدة للثروة ولا يقيم وزناً لغير ذلك ، ولذلك طرح أندريه كونت سؤال الأخلاق العميق في خيارات الرأسمالية الاقتصادية .

-نقد عبدالوهاب المسيري: الإنسان ذو البعد الواحد

يقول عبد الوهاب المسيري " يلاحظ ماركوز أن الديباجات الفردية التي تستخدمها الاعلانات قناع ماكر يخبئ عملية فرض الأنماط الاستهلاكية الجمعية التي توحي للمستهلك بأن يقلد الآخرين وأن يتبع الموضات وآخر الصيحات، فكأن الفردية هنا قناع لعملية ترشيد كاملة لباطن الإنسان ، تدخل في روعه أن هذا الحلم هو حلمه وحده ، وأن هذه السلعة سبيله الشخصي الوحيد لتحقيق ذاته مع أنها في واقع أمره وسيلة تجعل تطلعاته وأحلامه مثل تطلعات الآخرين وأحلامهم ، وبذلك تستمر الآلة الاستهلاكية في الدوران ، إن المستهلك أحادي البعد هو " شيء" أنيق الملبس ، يستهلك كل السلع المطلوب منه أن يستخدمها داخل إطار مجتمع تتم إدارته من الداخل والخارج بطريق هندسية غير ديمقراطية "[70] .

فالتبشير بالفردانية خيار استراتيجي للعقل الأوربي ولكن الواقع الاستهلاكي يتربص به الدوائر ويحاول استيعابه في علاقات البيع والشراء وتضخيم ثقافته الاستهلاكية ، وإغراقه في حاجات ومتطلبات السوق ، والهيمنة على تفكيره واعتباره شيئاً من الأشياء المادية تناغماً مع العلمانية ذات البعد الواحد ، وقد تحولت بحسب بيتر جاي Peter Gay إلى شكل من أشكال الوثنية الحديثة باعتبارها باعتبار أنها تحولت إلى حركة معادية للدين بينما

---

[69]- اندريه كونت – سبونفيل، **هل الرأسمالية اخلاقية** ، ترجمة بسام حجار ، دار الساقي – بيروت ، 2005، ص 38.

[70]-عبد الوهاب المسيري ، **العلمانية الجزئية العلمانية الشاملة** ، ج 1 ، دار الشروق ، القاهرة ، ط1 1423- 2002 ، ص 145.

هي في الواقع ليست إلا رؤية دنيوية منفصلة عن الروحي أي ليست لها أي علاقة بالنص الديني فهي حركة فكرية ذات منزع إصلاحي عارضت توظيفات الدين المسيحي في المجال الأوربي الذي عرفته أوربا في القرون الوسطى [71] ويرى المسيري أن في أثناء علمنة المجتمع تتم علمنة الأفكار والرغبات والأحلام في بداية الأمر ، ثم تتصاعد الرغبات وتزداد حدتها ، ولكن لا يتم علمنة سلوك أعضاء المجتمع بنفس السرعة أو بنفس القدر " لأنها مسألة أكثر صعوبة "[72] وتحتاج إلى مزيد من الوقت لإدماج الفرد في المناخ العلماني الذي لا يستطيع معه الرجوع إلى حالته الأولى ، أو يتم تشويهه وتلويثه بمختلف التمثلات التي تهدد هويته وتحيله إلى معطى مادي بحت لا يلتفت إلا إلى غرائزه وملذاته ، ويرى المسيري الانسان " ظاهرة متعددة الأبعاد ومركبة غاية التركيب ولا يمكن اختزاله في بعد من أبعاده أو في وظيفة من وظائفه البيولوجية او حتى في كل هذه الوظائف و لا توجد أعضاء تشريحية او غدد او احماض أمينية تشكل الأساس المادي لهذا الجانب الروحي في وجود الإنسان وسلوكه ، لهذا فهو يشكل ثغرة معرفية كبرى في النسق الطبيعي – المادي ، فهو ليس جزءاً لا يتجزأ من الطبيعة وإنما هو جزء يتجزأ منها ، يوجد فيها ، ويعيش عليها ويتصل بها ،و ينفصل عنها .. فهو مركز الكون وسيد المخلوقات وهو لهذا لا يمكن رصده من خلال النماذج المستمدة من العلوم الطبيعية " [73].

وفي نموذجه المعرفي التحليلي يبرز المسيري أننا نتلقى المفاهيم والمصطلحات عن الغرب ونكتفي بنقلها " من وجهة نظرهم دون أن نطرح أي أسئلة تنبع من رؤيتنا التاريخية والإنسانية ، ودون أن نتوجه إلى القضايا الكلية والنهائية الكامنة في النصوص التي ننقلها ونشرحها ، فنحن لا نسأل على سبيل المثال عما إذا كان الإنسان – كما يتمثل في النص الذي ننقله – كائناً مادياً بسيطاً أم كائناً مركباً يتجاوز المادة ؟ ومن أين يستمد هذا الإنسان

---

[71]-مصباح الشيباني ، **تقرير الحريات الفردية والمساواة في تونس : دراسة سوسيولوجية في فلسفته الفردانية وأعراضها الاجتماعية** ، مجلة مدارات سياسية ، العدد 2 – 2019 ، ص 61.

[72]- عبد الوهاب المسيري ، **دفاع عن الإنسان ، دراسات نظرية وتطبيقية في النماذج المركبة** ، ط1 ، 1424هـ -2003م ، دار الشروق ، القاهرة ، ص 20 .

[73]– عبدالوهاب المسيري ، **الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان** ، الإعادة الثانية 1428 هـ – 2007م ، دار الفكر – سوريا ، ص 13.

معياريته : من قوانين الحركة أم من شيء أكثر تركيباً ؟ هل هناك هدف وغاية في حياة الإنسان أم إن حياته نهب الصدفة والحرية العمياء ؟ وأخيراً هل الإنسان هو مركز الكون القادر على تجاوز عالم المادة أم إنه كائن لا أهمية له يذعن لظروفه المادية وللحتميات الطبيعية ، وإخفاقنا في تعريف البعد الكلي والنهائي هو السبب الكامن وراء ما نلاحظه من خلط بين المفاهيم [74] ، وبسبب إبعاد الإنسان عن مركزية الكون أخذت الفردانية أبعاداً خطيرة في فهم حاجاته وقضاياه ومطالبه ، وانحرفت به عن منظومة القيم والأخلاق التي جاءت بها الشرائع والأديان وضبطت السلوك الفردي والجماعي على مدى الزمان والمكان وبحسب فيليب كوركيف يبدو أن مسار الفردانية قد تسارع، ولاسيما في الولايات المتحدة، فقد أصبح الأنا، على الأقل في بعض القطاعات الاجتماعية في البلدان الغربية شيئًا مقدسًا وهو ما أدى إلى فيض من النرجسية استبداد جديد للذات مواز لاستبداد قديم للنحن [75].

يجعل الذات الغربية تنتقم لمرحلة الكنيسة ولا تلتفت إليها وتفكر دائماً في تجاوز الجماعة والاستعلاء على قيمها وإبراز الفرد على أنه قوة منافسة للجماعة وجهاز يقابل بنيتها وعناصرها ، وبنماء هذا الشعور يتكون لدى الفرد هالة تتضخم بفعل التطورات والمواقف ، فلا يعترف بسلطة جماعة تراقب سلوكه وتضبط حركة سيره ، فينعزل عن كل ما من شانه أن يحد من حريته ويمنعه من الانطلاق في التشبع من كل شيء ، حتى وإن أدى به ذلك إلى الاعتداء على ذاته والتضحية بغيره مقابل منافع صغيرة أو مقابل نزوة نفسية لا تمت بصلة إلى منفعة مرجوة آجلة أم عاجلة.

–نقد شيري توركلSherry Turkle

[74]- عبدالوهاب المسيري ، **قضية المرأة بين التحرير .. والتمركز حول الأنثى** ، التنوير الإسلامي (38) ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع – مصر – ، ط2 ، اغسطس 2010 ، ص 3.

[75]- عبد الحميد عبيدي ، **قراءة نقدية جديدة في الاسس الايديولوجية للفردانية وراهنيتها في المجتمعات** الغربية ، مجلة عمران ، العدد 32 ، ربيع 2020 ص 129.

تشير "شيري توركل" Sherry Turkle عالِمة الاجتماع الأمريكية، في كتابها " معا بمفردنا " أن التكنولوجيا أصبحت تقوم بهندسة علاقاتنا الاجتماعية، فالإنسان على صفحته على مواقع التواصل الاجتماعي له مئات بل آلاف الأصدقاء، لكنه ربما يفشل في إدارة علاقته داخل أسرته، وهو ما يقود إلى عزلة كبيرة، فالتكنولوجيا تملأ فراغ الإنسان، لكن البشر غير قادرين على البقاء بمفردهم، وكذلك لا يستطيعون البقاء معاً، وأمام هذا التناقض، جاء الموبايل ليقدم حلا، ولكن تدميريا للعلاقات الإنسانية، وتضيف شيري توركل في كتابها : Alone Together : Why We Expect More from Technology and Less from Each Other "ينبغي أن تكون هناك أماكن مقدسة لا يجوز فيها التواصل عبر الإنترنت، مثل مائدة العشاء التي تضم الأسرة" غير أنها تشير إلى مسألة خطيرة ستعمق الفردانية، وهي تدخل "الربوتات" في حياة الإنسان بدرجة مقلقة، خاصة مع مساعي العلماء لمنح الربوتات مقدرة على التبادل العاطفي مع الإنسان، ومن ثم قد يستغني الإنسان عن نظيره البشري متجها إلى الآلة والربوت " [76].

من الفرد إلى الشخص :

فكرة الفرد أو كلمة " الفردي " استخدمت للتأكيد على تميز واختلاف كل شخصية عن الأخرى ، وعن عدم إمكانية تقسيم أو تجزئة الشخصية بل وجوب النظر إلى الشخصية على أنها وحدة لا تتجزأ "[77]" تميز الفرد يتيح التفكير الثقافي المتميز ، ويدفع الأفراد إلى استثمار طاقاتهم في الفعل الثقافي وإبراز المكنونات التي تعبّر عنها الثقافة ، دون إجبار على المماثلة أو إنتاج القول الواحد فيما ما يتولد من الموقف الثقافي أو المواقف الأخرى لأن ذلك يؤسس لثقافة الأحادية التي تعني السيطرة والهيمنة .

[76]- مصطفى عاشور ، **الفردانية وازمة الإنسان المعاصر** ، اسلام اون لاين ، الموقع الالكتروني

[77]- ألفرد آدلر، **الطبيعة البشرية** ، ترجمة عادل نجيب بشرى (القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، 2005) ص 8.

مما يعني أن الفرد لا يعبّر عن معطى بيولوجي في المنظور الثقافي وينتهي بانتهاء فردانيته ، بل يعبّر عن حالة حضارية تتشكل باطّراد وتنمو في وجدانه وعقله لتتّخذ صورة " الشخصية " ، ومن ثمة لا يتّجه اهتمام الفرد إلى نوعه وفقط بل ليتمثّل فكرة حضارته ويقوم لها بالإنجاز، وينشط لها ويستعد لاحتضانها من أول تعريف بها ووعي لأهميتها ودورها " فالشخص في ذاته ليس مجرد فرد يكوّن النوع ، وإنما هو الكائن المعقّد الذي ينتج حضارة وهذا الكائن هو في ذاته نتاج الحضارة ،إذ هو يدين لها بما يملك من أفكار وأشياء[78] ، يمتلك الشخص خاصية أخرى يتجاوز بها نوعه الآدمي البشري إلى خاصية مرتبطة بوظيفته الاجتماعية العضوية ، وهي المشاركة في إنتاج الحضارة وتشكيل بناءاتها المختلفة ، مما يعني أن الشخص تحرّك لمطلب اجتماعي يعبّر به عن الروح الاجتماعية التي تتمسك بالإنجاز والتأثير في التاريخ ، ولذا " فنحن لا نستطيع أن تكتفي بالحياة مجرد الحياة ، ولا نستطيع أن نواصل وجودنا كبشر دون روح المعاشرة الاجتماعية " [79] تفاعل الشخص اجتماعياً يدفع إلى وجود واع بذاته ومدرك لأهميته في المحيط الاجتماعي ، وينتج التفكير المتواءم مع الراهن الحضاري والمعبّر عن شبكة علاقاته الاجتماعية المتماسكة .

" والعمل الأول في التغيير الاجتماعي هو العمل الذي يغير الفرد من كونه فرداً Individu إلى أن يصبح شخصاً Personne وذلك بتغيير صفاته البدائية التي تربطه بالنوع إلى نزعات اجتماعية تربطه بالمجتمع "[80] تحرك الفرد نحو تغيير مجتمعه يضفي عليه انتماء اجتماعياً ينقله من الحالة البدائية [81]" التي تجعل الفرد يتفاعل مع حاجاته الحياتية البسيطة المتعلقة به وبأسرته ، إلى دائرة المجتمع الواسع الذي يتميز باتساع مكوناته واهتماماته

---

[78]- مالك بن نبي ، **ميلاد مجتمع** ، ص 31 .

[79]– مايكل كاريذس ، **لماذا ينفرد الإنسان بالثقافة الثقافات البشرية :نشأتها وتنوعها** (الكويت ، عالم المعرفة ، المجل الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ع 229 ، رمضان 1418 هـ– يناير –كانون الثاني 1998) ص 19 .

[80]- مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع ، ص 31.

[81]– " إن من نتائج الاعتقاد بأن الإنسان البدائي كان أقل تطوراً منا ، عدم القدرة على إدراك أن إنسان ما قبل التاريخ قبل خمسة عشر ألف كان في بعض نواحي حياته قادراً على إنجاز أمور عجز الإنسان من ذلك الحين عن التفوق فيها ، ومن بين الأمثلة البارزة علي ذلك فن ما قبل التاريخ خاصة فن العصر الحجري القديم الأعلى " أنظر أشلي مونتايو ، **البدائية** ، ترجة مُحَمَّد عصفور (الكويت ، المجلس الاعلى للثقافة والفنون والآداب ، عالم المعرفة ، ع 53 ، مايو 1982، ص 14.

ومجالاته وينخرط في الفعل الاجتماعي الذي يبرز قدراته وميولاته ويسهم في البناء المجتمعي ، عبر مؤسساته المختلفة (مدرسة ، جيش ، مصنع ، نقابة ، سنما ، مسرح ...[82] وغير ذلك من المؤسسات المجتمعية التي تكوّن شبكة العلاقات الاجتماعية ، وتدفع أفراد المجتمع إلى التعاون الاجتماعي لأجل تطويره وبنائه وتجاوز التخلف الذي يمنع من التحام أفراد المجتمع ويميت إرادة التقدم في الذات ويقتنع بأنها عملية مستحيلة في الواقع العربي والإسلامي ، وراهنية المجتمع تد عو إلى بذل مزيد من الجهد للإقلاع والنهوض ومنافسة القوى التي تتسيّد على العالم وترغمه على التقليد والتبعية .

الفرد والمجتمع :

علاقة الفرد بالمجتمع علاقة عميقة لا معنى للأول بغير الثاني ، ولا يكون الأخير إلا بتشكل الأول وهو " المجتمع " ليس مجموعة من الأفراد ، بل هو تنظيم معين ذو طابع إنساني يتم طبقاً لنظام معين "[83] يعبر المجتمع عن حركة تفاعلية بين الأفراد ، تجعلهم يتجهون لتحقيق أهداف مشتركة وينجزون لصالح المجتمع متفاعلون، بينهم علاقات ومخرجات لهذه العلاقات ، لن تخرج (العلاقات لاجتماعية) في كل الظروف والأحوال عن علاقات بين بشر داخل جماعات وعلاقات بينها وبين بنائها العام وغيره من البناءات ، فضلا عن علاقة الإنسان بالطبيعة وموقفه منها ، تلك العلاقة التي كانت منذ البداية أساساً للحفاظ على الإنسان وإشباعاً لحاجاته الأساسية وتلخيصاً لحكمة المجتمع [84] .

واستمرار العلاقات الاجتماعية ينتج الثقافة ويكوّن الهوية التي تتمايز بين الثقافات الأخرى ، كما يترجم الخلفية الدينية التي تستمد منها ﴿ **لَوَ اَنفَقْتَ مَا فِي الَارْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ** "﴾ (

---

[82]– مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع ، ص 31.

[83]- مالك بن نبي ، **ميلاد مجتمع** (دمشق ، دار الفكر ، ط 3 ، 1986) ص 17.

[84]- عبدالباسط عبد المعطي ، **اتجاهات نظرية في علم الاجتماع** ، عالم المعرفة (الكويت ، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب ، ع 44 ، أغسطس 1981) ص 27 .

الأنفال : 63) فأساس كل ثقافة هو بالضرورة (تركيب) و(تأليف) لعالم الأشخاص وهو تأليف يحدث طبقاً لمنهج تربوي يأخذ صورة فلسفة أخلاقية ، وإذن فالأخلاق أو الفلسفة الأخلاقية هي أولى المقوّمات في الخطة التربوية لأية ثقافة ، ولا ريب في أن هذه الفكرة كانت من نواحي الاهتمام الموضوعية لرجل دولة ك (خروشوف [85]) حين تحدَّث في المؤتمر الحادي والعشرين عن مشكلة الإنتاج في جانبها الإنساني ، فلاحظ أنه : " قبل أن تتكوّن لدى الأفراد حاجة داخلية إلى أن يعملوا ما وسعهم الجهد ، فإن المجتمع لا يمكن أن يعفي نفسه من مهمة تحديد أصول هذا العمل .."[86] الفرد لا يستطيع أن ينشئ ثقافة بمعزل عن المجتمع مهما كانت قدراته وإنجازاته بل لا تتصور ثقافة فردية البتة ، يقول موريس جولبير " إن البشر على نقيض الحيوانات الاجتماعية الأخرى ، حياتهم ليست مجرد حياة في مجتمع ، وإنما هم ينتجون المجتمع ليعيشوا فيه ، لهذا فإن أي بحث ينظر إلى البشر باعتبارهم مجرد أفراد لا يعتبر من منظور عالم الانتربولوجيا[87] مبحثاً كاملا ، ونحن لا نستطيع أن نعرف أنفسنا إلا إذا عرفنا أنفسنا في علاقاتنا مع الآخرين " [88] .

بذلك يتخلص الفرد من العزلة ويتجه إلى المشاركة في الحراك الثقافي وإنتاج صور وتراكيب ، فالأفكار والأشياء لا يمكن أن تتحول إلى عناصر ثقافية إلا إذا تألَّفت أجزاؤها فأصبحت تركيباً فليس للشيء المنعزل أو الفكرة المنعزلة معنى أبداً [89] لا على مستوى الفرد ولا على مستوى الجماعة ، فالفرد يستقيل من أي دور إيجابي في عملية التثاقف وإغناء الحياة الاجتماعية ، والجماعة تتردى إلى صورة سكونية لا تتلقى من مجالها المكاني والزماني أي

---

[85]- زعيم شيوعي ورجل دولة سوفييتي، حكم الاتحاد السوفييتي من (1964 - 1953)وتميز حكمه بالمعاداة الشديدة للستالينية وبإرساء الدعائم الأولى لسياسة الانفراج الدولي والتعايش السلمي.انظر ويكيبيديا تخص سيرة خروتشوف .

[86]- مالك بن نبي ، **مشكلة الثقافة** (دمشق ، دار الفكر ، الإعادة الحادية عشرة ، ط4 ، 1984 م) ص 63 .

[87]- كلمة الانتربولوجيا مكونة من مقطعين : الأول هو Anthropo أي الإنسان والثاني هو Logy أي إلى العلم أو الدراسة ، أنظر مُحَمَّد الجوهري وآخرون ، **الأنتربولوجيا الاجتماعية ، قضايا الوضوع والمنهج** (القاهرة ،مطبعة العمرانية للأوفست ، 2003) ص 5.

[88]- مايكل كاريذرس ، **لماذا ينفرد الإنسان بالثقافة ؟ الثقافات البشرية : نشأتها وتنوعها** ، عالم المعرفة (الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،) ع 229 ، رمضان 1418هـ – يناير –كانون الثاني 1998 ، ص 20.

[89]- مالك بن نبي ، **مشكلة الثقافة** ، ص 65 .

تزويد ثقافي ، ولا تتمكن من مجاراة الجماعات الثقافية الأخرى التي تراهن على الحركية الثقافية وإنتاج التراكيب الثقافية ذات التأثير النافذ في عالم الأفكار والأشخاص .

الفرد والجماعة الإنسانية :

يرتبط الفرد بجماعة إنسانية منذ نشأته الأولى ، فينتمي بداية إلى أسرة مكونة من أبوين وإخوة تساعده على متابعة نموه السوي في جميع جوانب الذات " فتكون له علاقة دافئة حميمة ومستمرة مع الأم ، حسب جون بولبي John Bowlby وتلك العلاقة مع الأم أو مع من يقوم مقامها وراء نمو شخصية الطفل وصحته النفسية "[90] ، وتلعب الأم دوراً بارزاً في سلوك الوالدية Parental Behaviour الذي يتأثر إلى درجة كبيرة بسلوك الصغار ، مما يستدعي النظر إلى وظيفة الوالدية في إطار التفاعل بين الأهل والطفل [91].

وتمتد العلاقة إلى الأب والإخوة فيتفاعل معهم نفسيًا واجتماعياً ولغوياً ومعرفياً ويتعرف من خلالهم على عديد الأفعال والمكتسبات التي تشعره بذاته وتمنح له القدرة والاستعداد على الاستجابة لمتطلبات الجماعة منذ سني الطفولة حتى لا يجد صعوبة فيما بعد في الانتماء للجماعة الإنسانية " التي تكسب صفة المجتمع عندما تشرع في الحركة أي عندما تبدأ في تغيير نفسها من أجل الوصول إلى غايتها ، وهذا يتفق من الوجهة التاريخية مع لحظة انبثاق حضارة معينة ، أما الجماعات الساكنة فإن لها حياة اجتماعية دون غاية ، فهي تعيش في مرحلة ما قبل الحضارة"[92] ، ذلك أن حركة الجماعة وسكونها مقترنة بعامل الحركة و الإنجاز ، وليس بعامل الكثرة أو قوة الانتشار الجغرافي .

---

[90]- بشير معمرية ،**خبرات الإساءة في مرحلة الطفولة وعلاقتها بالاضطرابات النفسية في مرحلة الرشد المبكر** ، بحوث ودراسات متخصصة في علم النفس (الجزائر ، منشورات الحبر ، 2007) ص 8.

[91]- فاز قنطار ، **الأمومة : نمو العلاقة بين الطفل والأم** ، عالم المعرفة (الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ع 166، اكتوبر1992) ص 12.

[92]– مالك بن نبي ، **ميلاد مجتمع** ، ص 18.

ويصنع التاريخ تبعاً للحركية الاجتماعية المطلوبة التي يستتبعها حراك ثقافي يعلي من قيمة الإنسان وحريته ويسهم في تعميق قيم التسامح والتعاون بين الجماعات المختلفة حتى تتواصل وتتحاور وتتبادل " إذ غاية التاريخ أن يسير بركب التقدم نحو شكل من أشكال الحياة الراقية وهو ما نطلق عليه اسم الحضارة[93] لما قام به الإنسان في رفد حياته ببذل العطاء الثقافي و" هي خطوة حاسمة في اطراد اندماجه الاجتماعي ، لأنها تؤصله في محيط ثقافي أصيل يجعل منه (حي بن يقظان) أو (روبنسون كروزو) [94] المثلان اللذان يعبران بوضوح عن نمطي الثقافة ، فالأولى ينطلق بها دانيال دي فو Daniel de Foe من محو ككامل للوسائل (أي الأشياء) حينما يبدأ بطل قصته المغامرة [95] والثانية ينطلق بها ابن طفيل من محو كامل للأفكار ، حينما يتدرج في مراحل احداثها ويتحدث كليهما عن تربيته في التكيف مع العزلة والاستجابة لجذر الثقافة التي ينحدران منها ، والوصول إلى غاية الوجود الإنساني خاصة عند ابن طفيل " المسلم " ، وفي توظيف الزمن واستخدامه في فترة البعد عن التفاعل الاجتماعي والسكون مع الذات .

يستخدم روبنسون الزمن ليوم واحد بعد غرق سفينته ونجاته بنفسه على الجزيرة ، فيقول " بدأت أنظم وقت عملي وخروجي ، وقت راحتي ونزهاتي وانطلاقاً من هذه القاعدة التي واظبت على مراعاتها كنت أخرج في الصباح إذا لم يكن الطقس ممطراً ،ومعي بندقيتي لمدة ساعتين أو ثلاث ، ثم أعمل بعد ذلك إلى ما يقارب الساعة الحادية عشر ، ثم آكل ما أستطيع الحصول عليه ، وكنت أنام من الظهر حتى الساعة الثانية بسبب الحر المضني ، في

---

[93]- مالك بن نبي ، **المرجع ذاته** ، ص 19 .

[94]- مالك بن نبي ، **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي** ، ترجمة بسام بركة ، أحمد شعبو ، إشراف وتقديم عمر مسقاوي (دمشق – لبنان ، دار الفكر ، الإعادة السادسة ، 1426 هـ – 2005 ، ط1 ، 1988 ط) ص 31.

[95]– دانيال دي فو Daniel de Foe روائي وشاعر وصحفي بريطاني ، ولد في لندن سنة (1660 وتوفي سنة 1731) له عديد من الروايات أهمها " روبنسون كروزو " حيث يخط البطل ذكريات في وحدته على جزيرة نائية نجا إليها بعد غرق سفينته ، وهو يعد رمزاً للنجاة بالعمل ، ومثالا لصراع الإنسان ضد الوحدة والعزلة ، أنظر مالك بن نبي ، **مشكلة الأفكار** ، ص 20 .

المساء كنت أستأنف العمل ، لقد أنفقت وقتي كله في ذلك اليوم ، وفي اليوم التالي في صنع طاولة لنفسي ذلك أني لم أكن آنذاك سوى عامل بائس ، ولكن الزمن والحاجة جعلاني فيما بعد صانعاً ممتازاً "[96] .

يشير روبنسون بداية إلى أهمية تنظيم وقت خروجه للعمل ، فينشط في الصيد لتدبير لقمة عيشه ثم ينطلق في العمل حتى نهاية الفترة الصباحية ، وقد أدرك معناه وتجزئته الفنية ووظفه في تكوين الفكرة والنشاط وكذا المعاني والأشياء [97] فلم يستجيب لإلقاءات العزلة ويركن إلى الخمول والعجز ، بل تجهز للعمل والحركة وضبط حركاته بإيقاع الزمن حتى تمكن من صنع " طاولة " بعد أن كان لاينتج شيئاً ، بل لا يفكر البتة في صنع شيء ونتيجة الحاجة والوحدة Loneliness توصل إلى صنع تدبير نفعي يرتفق به في أكله وشربه ، وبلا شك بعد هذا الإنجاز يمتد إلى أشياء أخرى تتعلق بمعاشه ، ويتحدد عندئذ معنى التأثير والإنتاج [98] لديه فيما يلي من الأنشطة والتفاعلات المختلفة .

" أما بالنسبة لحي بن يقظان فإن مغامرة الوحدة تتخذ لها اتجاهاً مختلفاً تماماً ، فهي لاتبدأ في الواقع إلا بعد أن نفقت الغزالة التي تبنت الطفل المنعزل كأم ترعاه ، فكان يرتاد بها المراعي الخصبة ، ويجتني لها الثمرات الحلوة ويطعمها ، وما زال الهزال والضعف يستولي عليها ويتوالى ، إلى أن أدركها الموت ، فسكنت حركاتها بالجملة وتعطلت جميع أفعالها ، فلما رآها الصبي على تلك الحالة ، جزع جزعاً شديداً ، وكادت نفسه تفيض أسفاً عليها فكان ينظر إلى أذنيها وإلى عينيها فلا يرى بها آفة ظاهرة ، وكذلك كان ينظر إلى جميع أعضائها فلا يرى بشيء منها آفة ، فكان يطمع أن يعثر على موضع الآفة فيزيلها عنها ، فترجع إلى ما كانت عليه فلم يتأت له شيء من ذلك ولا استطاعه " [99] يتجه تفكير بن يقظان في البداية إلى متابعة الظاهر " الحواس " يستطلع حالتها الهزيلة

---

[96]– مالك بن نبي ، المرجع ذاته ، ص 30 .

[97]– مالك بن نبي ، المرجع نفسه ، ص 20.

[98]- مالك بن نبي ، **شروط النهضة** ، ترجمة عمر كامل مسقاوي ، عبد الصبور شاهين ،(دمشق ، دار الفكر ، ط4 ، 1407 هـ – 1987 م) ص 146 .

[99]– ابن طفيل ، **حي بن يقظان** ، تحقيق وتعليق : احد أمين ، تقديم حسن حنفي (الدوحة ، مجلة الدوحة ، ما يو 2014) ص 36 .

التي لم تعد تؤدي وظائفها المعتادة ، عله يتمكن من علاجها ومساعدتها في استرجاع حالتها الأولى ، لكنه عجز في استكناه ذلك ، ولم يعثر على موطن الداء ، وصعد تفكيره ليكتشف شيئاً فشيئاً " الروح " ثم " خلود الروح " وأخيراً فكرة الخالق جل وعلا [100] .

مغامرة بن يقظان تتقصد معرفة ما وراء الحواس والولوج إلى عالم الغيب وإدراك خالق الوجود " الله تعالى " ومن ثم إدراك سر الحياة ذاتها " وإدراك النظام الإلهي إلى رؤية داخلية للإله وإلى مفهوم صفاته "[101] ونلحظ أن ابن يقظان لم يبق حبيس الأشياء التي نشأ عليها ولم يتوجه إلى الالتصاق بواقع المحسوسات والاستفادة منها في علاقة نفعية خالصة ، مثلما فعل روبنسون كروزو ، بل توجّه إلى شيء مخفي لا يرى ولا يمكن أن يسيطر عليه حسياً لأنه من أمر الله تعالى ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنَ اَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ العِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً** ﴾ (الإسراء : 85) فالروح التي تعيش بها في الدنيا عرضة لأن تؤخذ منك وتسلب في أي مرحلة من مراحل حياتك منذ وجودك جنيناً في بطن أمك ، إلى أن تصير شيخاً طاعناً في السن ، أما روح الآخرة وهي روح القيم وروح المنهج ، فهي الروح الأقوى والأبقى لأنها لا تعتريها الموت "[102] .

يتّجه ابن يقظان إلى الفكرة بدل التعامل مع الشيء والاندماج في جزئياته وكيفياته والتعاطي مع وظائفه المادية البحتة إلى إدراك مصدر الأشياء والكون وهو " الله تعالى " ، لأن ذلك ينقل الإنسان من مجرد متفاعل مع الأشياء إلى كائن منتمي إلى إله كون فسيح يدور حول فكرة واحة تكون حيناً " حب الخير " وحيناً آخر " كره الشر " وتلك هي رسالة لفكر الإسلامي عبر عنها القرآن الكرم بقوله ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَامُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَتُؤمِنُونَ بِاللهِ** ..﴾ (آل عمران : 3– 110) [103] .

---

[100]- مالك بن نبي ، **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي** ، ص 21 .

[101]- مالك بن نبي ، المرجع ذاته ، ص 21 .

[102]- مُحَمَّد متولي الشعراوي ، **خواطر الشعراوي** ، ج 13 ، ص 8720 .

[103]- مالك بن نبي ، **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي** ، ص 24 .

فالمسلم مكلف بحمل تلك الرسالة ، في الجليل من الأمور والصغير منا فتقسيم التركة عند وفاة صاحبها هي بلا ريب ظرف اجتماعي عادي ، لكن انظر ما يقول القرآن فيه ﴿ **وَإِذَا حَضَرَ القِسْمَةَ أُولُوا القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمسَاكِينَ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ** ... ﴾ (النساء : 4– 8) قد يقال لنا : إن هذا حكم يمكن أن يرد في كل قانون مدني تقدمي هذا صحيح ، لكن القرآن يرغّب بأكثر من هذا ، فهو لا يريد أن يقوم المجتمع بتقسيم المال كآلة توزيع القطع المعدنية ، فهذا شيء يستطيع المجتمع الاستهلاكي أن يفعله ، لكن ينبغ على المجتمع الإسلامي أن يفعل أكثر من توزيع أموال تركة وذلك بأن يوزع في الوقت نفسه الخير ، فالآية التي استشهدنا تنتهي بتوصية أخرى ﴿ .. **وَقُولُوا لَهُم قَوْلًا مَّعْرُوفاً** ﴾ (النساء ،:4- 8) وزّعوا أموالكم طبعاً لكن أضيفوا إليها فكرة ، أو كلمة ، أو لفتة تعبر عن شعوركم عن مفهومكم عن فكرة الخيرة عندكم ، تكملة ذات صبغة روحية خالصة لا يمكن تصورها في أي تشريع مدني ، إنها تعطي للرابط الاجتماعي طابعاً خاصاً يجعل من وجود ما يسمى " التناقضات في وسط الجماهير " ظاهرة غر قابلة للتفسير في المجتمع الإسلامي [104] .

الفرد والحضارة :

" الحضارة نظام اجتماعي يعين الانسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي"[105]وجهود يبذلها الإنسان في نطاق انتقاله من حياة البداوة وبساطتها إلى حياة العمران وتعقيداتها ، وهي ثمرة التفاعل بين الإنسان والكون والحياة [106] فهو ينتج الحضارة ويطوّر إمكاناتها المادية والمعنوية ويجتهد في إنمائها باستمرار ، فهو الكائن الوحيد الذي صنع حضارة بعقله مستخدماً عنصر الزمن مع إضافة تركيبه العضوي وخصائصه البدنية كذلك [107] ، ذلك أن الحضارة

---

[104]- مالك بن نبي ، المرجع ذاته ، ص 25 .

[105]– ول وايريل ديورانت ، **قصة الحضارة** ، **نشأة الحضارة** ، ترجمة زكي نجيب محمود ، تقديم : محي الدين صابر ، ج 1، من المجلد الأول ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص 4.

[106]- محمد سعيد رمضان البوطي ، **منهج الحضارة الإنسانية في القرآن** (دمشق ، دار الفكر 1432هـ – 2011) ص 19.

[107]– محسن مؤنس ، **الحضارة ، دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها** ، عالم المعرفة (الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ع 237 ، سبيتمبر 1998) ص 17 .

تترجم عن قوة عقلية نادرة أسهمت في بذل التغيير للنهوض بواقع الإنسان وترقية حياته العقدية والفكرية والسياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية بهدف زيادة العطاء الثقافي وتنظيم تفاعلاته المختلفة ، وبذلك يتسم فعله التثقيفي بالتحضر أو التمدن ، بخلاف الذي يمتنع عن التعاطي مع الإنتاج الثقافي أو يتجاهل حاجياته الثقافية أو لا يعدها ذات أولوية في حياته الاجتماعية فيهملها ويركز على الحاجات المادية .

جاء الإسلام لينسج حضارته العظيمة حين وهب للعالم تماسكًا وروحًا جماعيًا ، خط له اتجاهه التاريخي بعد أن كانت تسوده الأهواء الفردية ، لقد خلق القرآن من البدوي إنساناً متحضراً يشهد بحضارته ما خلف لنا من علم زراعي ناضج في إسبانيا وفي جنوب فرنسا ، واستقرار الإنسان على الأرض كان له نتيجته السريعة ، فنشأ العلم والفن وترعرع في مجتمع منظم لم يعد الفرد يخضع فيه لمزاجه المتقلب بل لنظم وقوانين " [108].

بدأ القرآن في إخراج الفرد من حياة بسيطة تتمركز حول الآلهة إلى حياة تتصل بالخالق تعالى وتعمل في إعمار الأرض " بمعناها الشامل وهي تشمل فيما تشمل إقامة مجتمع إنساني سليم وإشادة حضارة إنسانية شاملة ليكون الإنسان بذلك مظهراً لعدالة الله تعالى وحكمه في الأرض ، ولكن لا بالقسر والإجبار بل بالتعليم والاختيار [109] لأن الإجبار يؤدي إلى إلغاء عقله وحريته ولا يتمثل من ثم فكرة التحضر التي يجب التفاعل معها وإنتاجها في مرحلة تالية ،والتعليم ينمي الثقافة ويزيد الاطراد الحضاري ويولد إدراكات إنمائية في التعاطي مع مقررات التحضر الذي يعطيها الدين ولا يفقده العلم ، يبذل له الإيمان ولا يسلبه العقل يرفده الروح ولا يحرمه المادة ، يمنحه الآخرة ولا يحرم عليه الدنيا ، يمكنه من الحق و لا يمنع عليه القوة ، يتيح له الأخلاق ولا يسلبه الحرية[110] يوازن بين الدين والعلم ويصل الايمان بالعقل ويربط الدنيا بالآخرة ويحرس الحق بالقوة وينظم الحرية بالأخلاق ولا يقيم الفواصل الوهمية بينها لئلا يشعر بالانفصال ، فيشوه النموذج الحضاري ويفكك السلوك الثقافي ، فيعزل مكونات أساسية

---

[108]- مالك بن نبي ، **وجهة العالم الإسلامي** ، ترجمة عبدالصبور شاهين (دمشق ، دار الفكر ، الإعادة السادسة ، 1427هـ – 2006م) ص 42.

[109]- مُحَمَّد سعيد رمضان البوطي ، **منهج الحضارة الإنسانية في القرآن** ، ص 25.

[110]– يوسف القرضاوي ، **الإسلام حضارة الغد** (القاهرة ، مكتبة وهبة ، 1995- 1416) ص 149 .

عن بعضها ويدافع عن هذا العزل ويعتبرها من عمق التحضر وتترجم المعنى الثقافي وتعكس المرجعية الإسلامية في التحضر ، وهي تعاود إنتاج المرجعية الغربية ذات الثنائيات المركبة .

فالقرآن يحمل الإنسان مسؤولية بناء حضارة ، وأنه ما كان كتاب دين وعبادة ونسك إلا من حيث إنه مصدر حضارة وباعث نهضة ، وإنما يأمر القرآن الناس أن يدينوا لتعليماته في تحقيق هذه الأهداف كلها والدين ليس كما يتصور الجهلة من الناس مجرد صوم وحج وصلاة .. بل هو الدينونة لكل ما رسم الله لعباده من مناهج العلم والاجتماع والسلوك ، عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله صلى لله عليه وسلم قال : " الإيمان بضع وسبعون – أو بضع وستون شعبة ، فأفضلها قول " لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان [111]" يعلو الإيمان إلى كلمة التوحيد التي يبدأ بها المسلم حياته الإيمانية وينطلق منها في تكريس مقرراتها وتهبط إلى " إماطة الأذى في الطريق " كسلوك اجتماعي لا يغفل حاجة المجتمع إلى النظافة والتأمين ومشاركة المسلم في التغيير الإيجابي ، فيعترف لله تعالى بالوحدانية ، وفي نفس الوقت يقر بحاجة المجتمع إليه فينهض للقيام بها ، فيتثقف على عقيدة التوحيد أولا ، ثم يعبر عن هذه الثقافة في التواصل مع مصالح الجماعة " إماطة الأذى " كصورة عملية لإثبات نفاذ التوحيد في التفاعل الاجتماعي .

فالمسلم يتصل بخالقه بداية ثم ينطلق في تجسيد معرفته اجتماعياً فلا يؤذي المجتمع بل يسعى لإماطته والتخلص منه ومنع مصادره وروافده ، وينخرط في بذل النفع والخير لمجتمعه ، وفي كل ما يفعله يتحسّس أثر إيمانه بالله تعالى الذي يدفعه إلى الاجتماعية الإيجابية والإضافة المطلوبة والاستخلاف المقصود في القرآن الكريم الذي يحمل المسلم جملة الفضائل " كالمسؤولية والحرية والإخلاص لله تعالى والتلاؤم مع نواميسه وسننه حتى تنشأ فكرة الخلافة لتغذية

---

[111]- رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه ، انظر ، **المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب** ، انتقاه وقدم له وعلق حواشيه ووضع فهارسه يوسف القرضاوي (القاهرة ، دار التوزيع والنشر الاسلامية ، ط3 ، 1421هـ – 2001 م) ج2 ، ص 213 .

تلك الفضائل وإعلاء شأنها وإعلان الولاء لله وحده دون الأرباب المزيفين " [112] وبذلك يتحرر المسلم من كل وثن يحجبه عن العبودية الحقة فلا يلتفت لغير الله تعالى ويقبل على خدمة مجتمعه غير آبه بالأفكار البشرية التي تسوق لفكرة الخضوع والخنوع لآلهة بشرية تريد فرض سياستها على المجتمع الإنساني ، وتكريس مشروعات حالمة لا يمكن أن تتحقق في الواقع القريب أو البعيد مثلما فعلت قديما " المدينة الفاضلة التي رسم ملامحها الفلاسفة الإغريق (بداية من 490 ق م) فتبارى أفلاطون ، وسقراط ، وأرسطو ، وديموقريطيس، وأبيقور ،وليوكريتس على مدى أربعة قرون في تشييد مشروع فلسفي متكامل ظل على مدى ألفي سنة أي إلى يومنا هذا ، مجرد مشروع .. وانتهت أثينا إلى نوع من الحكم القهري وإلى انقسام حاد وشرس بين الأحرار والعبيد (150 ألفاً من العبيد في مجتمع يعد 400 ألفاً من المواطنين) وإلى انتحار الفلاسفة واضطهادهم ونفيهم وقتلهم وخارجياً انهار المشروع الطوباوي في حروب طويلة بين أثينا واسبرطة وحروب أطول بين اليونان والفرس "[113] ، فخضع الإنسان طويلا لمثل هذه الأفكار الأرضية ولم تنتج له واقعاً سعيداً بل أشقته وضللته عن سواء السبيل .

وحديثاً انتهت أفكار المادية الجدلية ، والمادية التاريخية ، والمذهب الوجودي ونظريات التطور والعلمانية إلى الإفلاس لأنهم لم يسائلوا أنفسهم ذات يوم باهتمام وجِدّ عن قصة هذا الكون من حيث هو ، اتجهوا بادئ ذي بدء يحدقون النظر والفكر في زوايا جزئية منه وكأنها أشياء مفصولة عن الكل الذي هو أجزاء متصلة به ، فكان طبيعياً في حكم المنهج العقلي أن يخبوا في ظلام دامس وأن يتيهوا بين صور وأفكار محيرة ، ثم أن يعودوا وقد اقتنعوا ما لا سبيل لهم إلى ما هو أفضل منه[114] ويبدو التفكير المستند إلى مرجعية الوحي أكثر واقعية ومنطقية من النظريات الفلسفية السالفة أو المنتجة في المستقبل أو تلك التي تنتظر التفسير في مختبرات العلم " ولو قالوا الله لحلت الأحاجي والألغاز ولوجد العالم والفيلسوف نفسيهما يتحركان في الطريق الصحيح لفهم معادلة الحياة

---

[112]- أحمد القديدي ،**الإسلام وصراع الحضارات** ،كتاب الأمة (الدوحة ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ط1 ، ذو الحجة 1415هـ – أيار مايو 1995) ص 117 .

[113]- أحمد القديدي ، **الإسلام وصراع الحضارات** ، ص 136.

[114]– محمد سعيد رمضان البوطى ، **المذاهب التوحيدية والفلسفات المعاصرة** (دمشق ، دار الفكر، ط4 ، 1425هـ – 2014م) ص 329.

المعجزة "[115] وينعكس ذلك على الحضارة المنتجة التي تتجه إلى تعميق إيمان الإنسان المستخلف فتحافظ على بقائه واستمرارية وجوده ولا تفكر البتة في التغلب على الإنسان وتدمير مثلما هو الحال مع المدنية الغربية الحالية برئاسة أمريكا والغرب.

فالإسلام لا يعني تلك المعتقدت التي خاصمت أوربا العقل في سبيلها، وأن الاسلام يقوم في مبادئه الاعتقادية كلها على منهج علمي دقيق نزيه لا تخطه إلا يد العقل وحده دون أن يكون ثمة سلطان لعصبية أو رغبة في اعتقاد أو تقليد واتباع[116] ، ذلك أن المعتقد المسلم لا يجب أن يعتقد في غير الحق أو يوهم نفسه باعتقادات لا يقبلها العقل وتمجها الفطرة ، لأن ذلك يحرف السلوك ويناقض صفاء العقيدة الإسلامية ويعمل على تضليل فكره وإبعاده عن إعمال عقله في ما يناسبه وينسجم مع قدراته ووظائفه المنوطة بتحقيقها في المجالات الممكنة التي تطور أداءه وتمكنه من الارتقاء.

[115]– عماد الدين خليل ، **العلم في مواجهة المادة ، قراءة في كتاب حدود العلم لسوليفان** (دار ابن كثير ، 1427 – 2006 م) ص 14 .

[116]– مُحَمَّد سعيد رمضان البوطي ،**كبرى اليقينيات الكبرى** (دمشق ، دار الفكر ، 1997) ص 63.

خلاصة :

الفرد والفردانية أو الفردية مصطلح ولج حديثاً إلى المعرفة الإنسانية والاجتماعية وجاء ليعبر عن سياق ثقافي ينتمي للفلسفة الغربية وتاريخ الفكر الغربي ، ويبين عن حقبة زمنية أليمة وقع فيها العقل الغربي في إسار الكنيسة ورجال الدين ، وتمثل الفكر الكنسي الذي يمنع من التفكير الحر ، ويحرم التوجه المناقض لرجال الدين والقسس وكل العقول المنافحة عن حياض البابا ، وظلت الكنيسة على هذه الحال حقباً زمنية طويلة لا تسمح بفكر مغاير او رأي جديد ، أو توجه غير المعتمد رسميًا في جنبات الكنيسة ، ولم تقتصر سيطرة الكنيسة على الناحية الفكرية بل شملت قطاعات الحياة الغربية المختلفة السياسية والاقتصادية والتعليمية والاجتماعية ، وغطى التفكير الكنسي الحياة الغربية .

وشعر العقل الغربي أن هيمنة الكنيسة على الحياة العامة وتحكم رجالها في رقاب الناس أفسد العقول وسمم مجاري التفكير ، ولوث مناخ الحياة ، سيما بعد الأفعال الشنيعة التي قامت بها الكنيسة بحق رجال الفكر والعلم من تضييق وإعدام وحرق المكتبات والتضييق على دور التعليم ونشر الاكاذيب والضلالات العقدية والاجتماعية لتظل المسايرة لفكر الكنيسة قائمة وتستمر الهيبة في نظر الناس لتكبر سلطتها الروحية ويتضخم وجودها المزور وينجز رجال الدين أهدافهم ويستغلوا السطوة في تحقيق المصالح والمنافع على حساب الحقيقة وما يجب أن يحيا عليه الناس ويطمئنوا إليه .

وحركة التاريخ وسنن الكون تأبى المضي في الانحراف وتغطية الحقيقة ، فانبرى لظلم الكنيسة عقول كثيرة تبشر بحق الانسان الطبيعي في العيش الحر وتملك زمامه بعيداً عن أي ضغط أو إكراه ، وبدأ في إنتاج فكر الحرية والتحرر من رجال الدين ، فنشأ فكر الفردية الذي يبحث عن معنى إنساني جديد غير المعنى الذي رسخته العصب الكنسية ، وبثته في عقول الناشئة وانطلق الفكر في بحث فكرة الحرية والحقوق والواجبات وعلاقة الفرد بالدولة وضرورة سن التشريعات والقوانين لحماية الفرد ، والاعتراف بكينونة الذات مقابل الجمعنة . وكان الفكر الناقم من إرث الكنيسة أراد أن يضخم الذات ويجعله مركزا للحياة بديلا عن الجماعة ، وليس بوسع الفرد مطلقاً ان يضحي من اجل الجماعة ، وان يعيش معتقده وأفكاره وحياته التي يختارها هو .

لكن طلب الفردية في المخيال الغربي خرج به عن التوازن ، وانقلب إلى فلسفة أو دين مثلما يرى بعض المفكرين وبدلا من تصحيح وضع الحياة الإنسانية ، انطلق إلى تكريس حقوق تضاد الفطرة وحرمة النفس البشرية فشرع القوانين لحماية الإباحية والشذوذ والمثلية وأمست الفردية بحاجة إل تصحيح فكري يعزز إيجابياتها ويفند مثالبها .

الفصل الثاني

مفهوم الثقافة وخصائصها

- تمهيد
- معنى الثقافة
- خصائص ومحددات الثقافة
- نشأة وتطور مفهوم الثقافة
- نظريات الثقافة
- ظهور مفهوم الثقافة في البيئة الفكرية العربية
- مفهوم مثقف في الفكر العربي
- خلاصة

تمهيد :

تتحرك الحياة وتنمو بالثقافة التي تبصر الفرد بجماليات الحياة وتمنحه الحياة المتناغمة مع السنن الكونية التي يجب الاستجابة لمقرراتها وحقائقها ، فالإنسان في هذا العالم الثقافي الواسع يعيش ثقافته ويتفاعل مع مضامينها ويتجاوب مع إملاءاتها ، رغم ضغوط الثقافات المتغلبة والمهيمنة على إدراكات الأفراد والمجتمعات ، فالمثقف المسلم ينتمي إلى ثقافة تستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية والشريفة وتاريخ حافل بحضارة إنسانية غاية في النبل والمجد قدمت للإنسانية الكثير وأغنت الفكر البشري بالعلوم والمعارف والعمران ، وتمكنت من تقديم بديل ثقافي عن النماذج الثقافية الرومانية واليونانية والصينية والهندية وغيرها ، بفكر جديد ومنهج يعلي من شأن الإنسان ويفسح المجال واسعاً للقيم السامية ..

ثقافة المسلم تنهل من الاسلام وتتلقى من تعاليمه وتشريعاته ، دون الانكفاء على الذات والتعصب لها ، تفتح نظرها على الثقافات المختلفة وتقيم جسور الحوار والصلة وتتفهم الفروق والتمايزات بين الثقافات المختلفة ولا تدعو إلى عصبية أو إقصاء ، حسبها التعارف والتواصل قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات : 13) تتعرف إلى الآخر وتتفهم انتماءه وجذوره وخلفياته ، وتحرص في تأمل ثقافته ، لا لأجل الهيمنة والسيطرة كما تفعله الثقافات الاستعمارية أو المتغلبة ، بل للعيش المشترك والسلام العالمي وحل النزاعات الأهلية والتنادي إلى حل مشكلات الفقر والجهل والمرض المتفشية في العالم بين الامم الفقيرة والمقهورة والمستعمرة .

يهتم الفصل بإيراد مفاهيم الثقافة من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية ، ثم بحث نشأتها وتطورها ونماء المصطلح في البيئة الفكرية العربية ، كونه مصطلحاً ظهر في البيئة الغربية أولا ثم انتقل بالترجمة إلى البيئة العربية وأصبح من المفاهيم السائدة في الجامعات والمراكز البحثية ، بل أصبح تخصصا من التخصصات الاجتماعية الحيوية .

ماهي الثقافة ؟

***الدلالة اللغوية :**

يقول ابن منظور " يقال ثقف الشيء وهو سرعة التعلم ، ويقول ابن دريد " ثقفت الشيء حذقته " ، وفي حديث الهجرة : " هو غلام شاب لقن ثقف " [رواه البخاري] أي ذو فطنة وذكاء ، والمراد أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه " ، والعلامة فريد وجدي يقول في " دائرة معارف القرن العشرين ، المجلد الثاني" : ثقف يثقف ثقافة : فطن وحذق ، وثقف العلم في أسرع مدة أي أسرع أخذه ، وثقفه يثقفه ثقفاً : غلبه في الحذق ، والثقيف : .الحاذق الفطن ، وفي القواميس الحديثة تقول :"ثقف ثقافة : صار حاذقاً خفيفاً ، وثقف الكلام فهمه بسرعة ". [117]

مفردة الثقافة ترتبط بداية بتعلم مقصود لما يراد تثاقفه أو تشكيل سلوك اجتماعي للفرد يظهر عليه من خلال التفاعل مع أقرانه وتبادل الأدوار معهم ، حال التشابه الثقافي معهم ، وحتى مع الفئات التي تختلف معه ثقافياً وتمتد بعدئذ إلى الجماعات الاجتماعية التي تراعي في حال تفاعلها أو حوارها أو اتصالها مع الجماعات الأخرى (الشبيهة أو المختلفة) معطيات الثقافة التي تنتسب إليها " فكل إنسان – مجتمع يبني مجتمعه وينتج ثقافته على النحو الخاص به زمانًا ومكانًا ويكتسب خصوصيته من إطاره الإيكولوجي ومحيطه العقلي ونهجه في الحوار والتعامل "[118].

كما ترتبط الثقافة أيضاً بميزتي الفطنة والذكاء ، فالمثقف ينظر فيما حوله ، ويتحرى تكوين فكرة عما يحيط به ويشاهده ، ويحرص على فهم المتغير الاجتماعي الذي يؤثر في وتيرة التفاعل وينتج مقولات جديدة وأنماط وعلاقات تتمايز عن المعهود الاجتماعي وتتبدى استجابات جديدة لم تعهدها الحياة الاجتماعية ، فضلا عن

---

[117]- مالك بن نبي ، **مشكلة الثقافة** (دمشق ، دار الفكر ، ط 11 ، 1456هـ – 2005 م) ص 19 .

[118]- مايكل كاريذرس ، **لماذا ينفرد الإنسان بالثقافة ؟ الثقافات البشرية : نشأتها وتنوعها** (الكويت ، عالم المعرفة ، رمضان 1418هـ – يناير – كانون الثاني 1998 م) ص 9 ، ليس فقط من المحيط الإيكولوجي بل من مرجعية الوحي والسنة المطهرة وبقية مصادر المرجعية بالنسبة للمسلمين في المجتمع المسلم ، يقول مالك بن نبي " ... بينما نحن الوسيلة بين أيدينا ، الوسيلة من نور الله ، الوسيلة حية بين أيدينا ، طيعة للعمل

ظروف الحرب التي تنتج تفاعلات اجتماعية غيرها في الحياة السلمية ، كل ذلك يتابعه المثقف الذكي بتفسيرات معقولة تترجم الفطنة والحساسية لما حوله ، وتجسد المعرفة المنهجية لذلك.

وفي سمة أخرى للمثقف نجده يتعاطى لسانياً مع الأحداث الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية التي تتولد خلال الصيرورة الطبيعية لتطور المجتمع ، فيتابعها بالفهم والإدراك وينتج إزاءها مقولات يستبين ملابساتها وأسباب ظهورها ، ويقدر مآلاتها التي يمكن أن تضر بالمجتمع أو تضيف إليه إضافة حضارية ، فلا يرضى المثقف انتظار مقولات جاهزة من غيره أو من وسائل الإعلام أو من صنّاع الرأي [119]، بل ينتجها بفعل الحضور العقلي ، وكذا الاهتمام الذي يوليه للحدث الاجتماعي العام " ويجري صنع الأفكار وإعادة ابتكارها ، بقدر ما يصار عبرها إلى صناعة العالم وتكوين المشهد أو إلى تغيير الواقع ورسم المصائر "[120].

المفهوم الاصطلاحي :

سئل " إدوار هوريو [121]" عن الثقافة فأجاب :" الثقافة هي ما يبقى عالقاً بالأذهان عندما ننسى ما تعلمناه على مقاعد الدراسة والجامعات " [122] ، فالثقافة ليس ما يحفظه الفرد من المعارف والعلوم ، بل هي أثر التعلم بعد انهاء الانتماء لمرحلة دراسية ، أي أن المثقف في نظر هوريو يستبطن ماتعلمة ويستذكره حال التفاعل مع الاحداث والمواقف ، ويرى الجابري ضرورة التقيد بالمعنى العربي لكلمة " ثقافة "كما تتحدد من خلال علاقتها العضوية مع كلمة " مثقف " ولنقل غن ما نقصده هنا ب الثقافة هو ما يجعل الإنسان مثقفاً بالمعنى الاصطلاحي المعاصر للكلمة ، و" المثقف " في المجال التداولي العربي الراهن هو من مهنته استهلاك" المواد " الفكرية والمساهمة في

[119]- لا يعني عدم الالتفات إلى مقولات غيره ، بل يحرص عل استقلالية فكره وتقديم نظرته الخاصة لما يتفاعل معه ، لأن القرآن الكريم يعلمه الاستبصار واستخدام النظر في ما حوله .

[121]- عميد كلية الآداب في " ليون " الجامعة الثانية في فرنسا، ورئيساً للبرلمان الفرنسي ، وعمدة ليون ثاني مدن فرنسا كذلك ، أنظر مالك بن نبي ، مجالس دمشق ، ص 92.

[122]- مالك بن نبي ، **مجالس دمشق** (الجزائر ، دار الوعي ، ط1 ، 1434هـ- 2013م) ص 92 .

إنتاجها ونشرها ، وإذاً " فالمسألة الثقافية " في الوطن العربي هي في مظهرها الاول والمباشر " مسألة " المادة المعرفية المستهلكة وطريقة استهلاكها وإعادة إنتاجها ، إنها إذاً مسألة الفكر : الفكر كمحتوى والفكر كأداة "[123].

ويذهب علي حرب مذهباً مختلفاً عن الجابري فيرى " أن المثقف لا يعني عنده من يملك حظاً وافراً من " الثقافة العامة " أو المعارف المشتركة ، ولا أعني به بالطبع " الاختصاصي " في فرع من فروع المعرفة أو المنتج في حقل من حقول الثقافة أي لا أعني به بالتحديد العالم أو الكاتب أو الأديب أو الفنان ، كما لا أعني به بالضرورة " المفكر " الذي يصنع أفكاراً أو يخلق بيئة فكرية ، وإن كان المثقف يستعمل سلطة الفكر والنقد وأخيراً لا أعني به الداعية أو صاحب الأدلوجة أي المنظر العقائدي أو المرشد الروحي أو القائد الثوري أو الزعيم الحزبي مع أن مهمة المثقف تكاد تتطابق مع مهمة الداعية قد تكون للمثقف علاقة بكل واحد من هذه الأوجه والمجالات تكثر أو تقل ، تشتد أو تضعف ، ولكني أعني به في المقام الأول من تشغله قضية الحقوق والحريات أو تهمه سياسة الحقيقة ، أو يلتزم الدفاع عن القيم الثقافية المجتمعية أو الكونية بفكره وسجالاته أو بكتاباته ومواقفه ولكن أياً ما كان نموذج المثقف وحقل اختصاصه أو مجال عمله ، فهو من يهتم بتوجيه الرأي العام أو من ينخرط في السجال العمومي دفاعاً عن قول الحقيقة أو حرية المدينة أو مصلحة الامة او مستقبل البشرية فهذه صفته ومهمته ، بل هذه مشروعيته ومسؤوليته ، بهذا المعنى ، فالمثقف هو الوجه الآخر للسياسي والمشروع البديل عنه "[124].

فالثقافة حسب علي حرب حركة نحو تجسيد الحقوق والحريات والدفاع عن قضايا الانسان والحضور الفكري في مواجهة ما من شأنه أن يهدد كرامة الإنسان أو يعرضه للمخاطر ، أو يحاصر حياته أو يضغط على خياراته

---

[123]- محمد عابد الجابري ، **المسألة الثقافية في الوطن العربي** ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، مارس 1999 ، ص 19 .

[124]- علي حرب ، **أوهام النخبة أو نقد المثقف** (بيروت ، المركز الثقافي العربي ، ط3، 2004) ص 12.

وقناعاته ، المثقف ينقد ويدحض ذلك ويواجهه بشجاعة في الشارع وفي الإعلام وفي القنوات المتنوعة وفي حواراته المختلفة وتفاعلاته مع أصدقائه وخصومه ، ويوصل انشغاله إلى السلط الرسمية لتنظر فيه وتقرر البدائل المناسبة إزاءه ويشعر الجميع أنه يمثل رأياً قد يكون موافقاً أو معارضاً لما يصدر من الخيارات أو القرارات أو الاستراتيجيات من جهاز الحكم ، أو من تيارات شعبية حزبية ونقابية ومدنية تمثل إيديولوجيات للتفكير والتغيير ، وليس المثقف الذي يهضم علمًا أو لغة أو معرفة ولا يهتم لشأن أحد ، ولا يفكر البتة في قضايا مجتمعه ومواطنيه الذين يضطهدون أو يظلمون أو تسلب حقوقهم ويعتدى على كرامتهم .

من خلال ما سبق من التعاريف نجد أن الثقافة تبتدئ بالعلم والتبصر والفقه وتتحول إلى حركة تبشر بالإيجابية وتقديم النفع للغير ، والتفكير في خدمة المجتمع ثقافياً ، فالمثقف في الجزائر مثلا يتعلم ويتابع قراءاته في الشأن الديني والسياسي والاجتماعي والثقافي والسياسي والنقابي والاقتصادي والرياضي ، وينخرط في الجمعيات المختلفة حسب ميولاته واهتماماته ، وينظم ذاته مع إخوانه ويمارس الدعوة إلى التغيير واكتساب الخبرة الحضارية ، ففي المجال الحزبي يدعو إلى الديمقراطية واحترام إرادة الشعب ويكافح لحماية الأصوات ، ويقاوم الغش والتزوير ويدعو إلى نبذهما حماية للإرادة الشعبية ، وفي المجال الاجتماعي يدعو إلى الفضيلة وحماية الشباب من الآفات الاجتماعية كالمخدرات والمسكرات ، ويبشر في التوجيه والدعوة الى الخير ، ويتميز المثقف المسلم بدعوة مجتمعه إلى الالتزام بتعاليم الإسلام والهدي النبوي .

خصائص ومحددات الثقافة :

تتميز الثقافة بخصائص عديدة تميزها عن غيرها من المصطلحات في العلوم الاجتماعية ، وتبرز اهميتها في الحياة الاجتماعية وصلاتها العميقة بحياة الناس ، فهي تختلط بالدين والأفكار والعادات والتقاليد ، وتحمل خاصية التعمير في حياة الجماعات البشرية ، وتتمتع بخصائص عديدة منها :

-1-**الثقافة ذات خاصية مادية ومعنوية معًا** : الثقافة التي لا تعني فقط " الفن والمتاحف والمسارح والأعمال الأثرية الجميلة ، ولا هي المعلومات الرفيعة في كل علوم العصر ، ولاهي حسن المظهر الخارجي وسمو السلوك الخارجي ولا هي الروح المعنوية أو الأخلاق الرفيعة ولا هي روح الحضارة أو قيمة التقدم المادي فالمقصود بالثقافة شيء أشمل واعم وأخطر تأثيراً وهو مضامين الوعي والإحساس والتصورات المشتركة بين أعضاء جماعة اجتماعية لما هو قائم ولما ينبغي أن يكون والتي تتوارث اجتماعيًا "[125] فالوعي بحاجات المجتمع ومطالبه وتبصر المشكلات السياسية الواقعة والمتوقعة يعبر عن مستوى ثقافي داخل المجتمع ، إلى جانب ما يبدعه الانسان من مكتشفات وعمران وموسيقى وفنون يعبر أيضاً عن سمة ثقافية للمجتمع .

ففي دراسة مهمة أجراها ألموند وفيربا عن الثقافات السياسية في كل من أمريكا ، وبريطانيا ، وألمانيا ، وإيطاليا والمكسيك ، وكان سؤالها لماذا عاشت الديمقراطية في فترة ما بين الحربين في بريطانيا والولايات المتحدة ، بينما كانت تنهار في القارة الأوربية ، وقد نشرت الدراسة في كتاب صدر عام 1980 بعنوان " الثقافة المدنية " وتدور الإجابة حول مقولة أن النظام الديمقراطي المستقر يتطلب ثقافة سياسية متوازنة (الثقافة المدنية) تجمع بين كل التوجهات "[126] ولا تقتصر على توجه واحد أو تنحاز إلى توجه بعينه ، فالتوازن الثقافي يحمي الديمقراطية أو على الأقل يكتب لها عمراً طويلا ، ويمنع من التحارب الداخلي .

والخاصية المادية تشير إلى " ما ينتجه الناس من طرق الصناعة اليدوية القائمة على تقاليد متوارثة ونظام إقامة البيوت وانواع المآكل وطرق تحضيرها وتناولها والمابس والفرش والثياب وأشكالها وطرائقهم في الصناعة والزراعة والتجارة والملاحة ، وما يتصل بكل ممارساتهم للحياة بشتى الطرق وما يختفي وراء هذه الممارسة من علم متوارث

---

[125]- محمد قطب سليم ، **المجتمع والثقافة والشخصية** ، دراسات في علم الاجتماع الثقافي ، ص 23.

[126]– مجموعة من الكتاب ،**لماذا ينفرد الإنسان بالثقافة ؟** ترجمة علي سيد الصاوي ، عالم المعرفة ، صفر 1418 هـ –يوليو – تموز 1997 م، ص 27.

[127] ، يتوارثه الأبناء على الآباء ويطوروا في تقنياته وتشغيله حتى يجود ويتكيف مع التغير الاجتماعي ، وباستمرار ذلك ارتقى العمل المادي ووصل إلى التكنولوجيا المتطورة بفعل التوارث والتنشئة على العمل وأصبحت الالة تتحدى الجهد الإنساني " فجاري كسباروف " الذي كان ينظر إليه على أنه عقل يمشي على الارض والذي ظن باستطاعته ان يهزم اي جهاز كمبيوتر في العالم ، حتى صرح في عام 1978 قائلا في تفاخر " لا يستطيع اي كمبيوتر هزيمتي أبداً ، ثم بعد ذلك هزم أمام كمبيوتر Deep Junior في عام 2003 في مباراة شهيرة تابعها الملايين من كل أنحاء العالم عبر شبكة الانترنت ، ولا شك انه تفوق كبير للكمبيوتر، ولكن الدراسات الحديثة على العقل البشري أثبتت أنه يحتوي على مليون مليون خلية ، وكل خلية أقوى من أي جهاز كمبيوتر في العالم [128].

-2- الثقافة عضوية : تتكون الثقافة من العناصر المادية وغير المادية التي ترتبط ببعضها البعض وتؤثر في الاخرى تأثيرا عميقاً ، فالنظام الاجتماعي يتصل ويتأثر بالنظام السياسي وبالنظام الاقتصادي وغيره من النظم ضمن أدوار وتفاعلات وتشريعات تقدم الخدمة للناس ، و" قد ساهم سبنسر بدراساته في وضع الأسس التي قامت عليها البنائية الوظيفية وكان اول من استخدم بشكل منتظم مفهوم البناء والوظيفة ، اذ لا سبيل في نظره لفهم البناء دون فهم الوظيفة المرتبطة به ، حيث اعتمد في ذلك على تشبيه المجتمعات بالكائنات الحية ، وفي كتابه الشهير " مبادئ علم الاجتماع " لتحليل الكيفية التي تؤدي بها الابنية المؤسسية المختلفة في المجتمع (الاسرية والسياسية والاقتصادية والدينية والمهنية وغيرها) وظائفها للحفاظ على المجتمع ، وقد سبق سبنسر بتحليله هذا سبق علم الاجتماع الأمريكي فيما بعد الحرب في بحثه عن المتطلبات الوظيفية لكل المجتمعات "[129].

---

[127]- حسين مؤنس ، **الحضارة ، دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها** ، عالم المعرفة ، سبتمبر 1998 ، ص 323 .

[128]- سيد صابر ، **الإنسان والآلة** ، 1- 5 – 2017 ، مدونات ، الجزيرة نت .

[129]- مجموعة من الكتاب ، **لماذا ينفرد الإنسان بالثقافة** ، ترجمة علي سيد الصاوي ، عالم المعرفة ، صفر 1418 هـ –يوليو – تموز 1997 م ، ص 17 .

وحين انتشر وباء كورونا في العالم ظهرت عضوية الثقافة وكشفت عن تلاحم الأنظمة المختلفة في التصدي لانتشاره وعلاجه وكشف " أن ثقافة أفراد المجتمع وتقيدهم بالتعليمات تلعب دورًا فعالا في الحد من المخاطر والتعامل مع الأزمات، وأنه هناك جدل بين فئات المجتمع بمصدر تلك الأوبئة و يعود ذلك للثقافة التي تطرح في الايديولوجية الفكرية لدى أفراد المجتمع من مقاومة انتشار هذا الوباء و الحد منه كما لخص البحث الى أن هناك ثقافة راسبة وممارسات اجتماعية زادت من عمر الوباء ،وأن العامل الثقافي و الممارسات الاجتماعية التي وجب الحد منها كالاحتفالات كمراسم الزواج خاصة في ظل الأزمة واستخدام الواسطة والمحسوبية و استخدام الوضع الاجتماعي و عدم الإفصاح عن الإصابة بالوباء كلها تعود الى أبعاد ثقافية للأفراد ،هذه الثقافات و الممارسات الثقافية و في ظل أزمة كورونا المستجد زادت من التحدي المجتمعي و زادت من عمر هذا الوباء بالرغم من الجهود الكثيفة التي بذلت من الحكومة الأردنية في مواجهة هذا الوباء من بداية ظهوره في المملكة ، إلا أنها اصطدمت بالأبعاد الثقافية للأفراد على كل المستويات " [130].

ويؤكد خبراء الآثار أن الأماكن الأثرية عرضة للخطر من كافة الأطراف المتصارعة على الساحة السورية، إضافة إلى لصوص الآثار الذين يستهدفون المتاحف ومواقع الحفريات للبحث عن الآثار ونهبها، مستفيدين من حالة الانفلات الأمني في البلاد. ويرجح هؤلاء الخبراء أن تكون القطع الأثرية المسروقة تهرب عبر دول الجوار لتباع في السوق السوداء العالمية،[131] فبمجرد الضعف الأمني يسقط الأمن الثقافي لطبيعة الاتصال بين الجانبين وتتضرر القطاعات الأخرى التعليمية والصحية والصناعية للترابط الحيوي، ويقول مكتب التحقيقات الفدرالي الأميركي (أف بي آي) إن نهب الآثار بالعراق وسوريا وبيعها في السوق السوداء أصبح مصدر تمويل لتنظيم الدولة، وإن هناك مخاوف متزايدة من أن تلك القطع بدأت تظهر في السوق الغربية، ويحث سماسرة الفن في الولايات المتحدة

---

[130]- علاء الدين محمود عبابنة ، **دور ثقافة أفراد المجتمع في الحد من انتشار وباء كورونا – دراسة انتربولوجية لمدينة إربد** – المجلة العربية للنشر العلمي ،2 أيار 2022 ، ص 2 .

[131]- **لآثار السورية في ظل الحرب.. تدمير وتهريب** ، 2015/10/12 ، الجزيرة نت .

على "توخي الحذر" عند شراء الآثار القادمة من منطقة الشرق الأوسط، كما حدث في العراق تماماً عندما سقط النظام العراقي من قبل القوات الأمريكية تعرضت آثارها الثمينة إلى النهب والسرقة وبيعت في المزاد العلني وفي السوق السوداء .

الثقافة مكتسبة : تكتسب الثقافة من قبل الفرد مذ بداية تنشئته الاجتماعية في الأسرة والمدرسة والمسجد وجماعة الرفاق وغيرها من مؤسسات التنشئة الاجتماعية ، والفرد من ولاددته غارق في عالم من الافكار والاشياء التي يعيش معها في حوار دائم ، فالمحيط الذي ينام الإنسان في ثناياه ويصحو والصورة التي تجري عليها حياتنا اليومية تكوِّن في الحقيقة إطارنا الثقافي الذي يخاطب كل تفصيل فيه روحنا بلغة ملغزة ، ولكن سرعان ما تصبح بعض عباراتنا مفهومة لنا ولمعاصرينا ، عندما تفسرها لنا ظروف استثنائية تتصل مرة واحدة بعالم الأفكار وعالم الأشياء وعالم العناصر ، فإذا بها تكشف عن مضمونها تمامً كما كشفت التفاحة لنيوتن عن سر الجاذبية ، وكما اوحت نافورات المياه في قصر (الإست Este) إلى عبقرية (ليتز Litz) بمقطوعته الموسيقية الرائعة [132] .

يستجيب الفرد لمعطيات البيئة المختلفة فيتفاعل مع مخرجاتها وحقائقها ويتبنى مضامينها المختلفة ، لدرجة أنها تشكل إدراكاته ومفاهيمه لما يحيط به ، وتكون لدية هوية يتميز بها عن الآخرين" فإشاعة ثقافة الشابكة (الإنترنت) نظراً لأهمية هذه الوسيلة الفعالة في إتاحة تفاعل الفرد مع المعلومة وتعدد مصادرها وسهولة الحصول عليها وفتح آفاق الاطلاع الواسعة ، وهذا الأمر يستلزم إنشاء المواقع العربية ذات الطرح الجذاب والمهتمة بالتوعية العلمية التي تستهدف مختلف الفئات والشرائح في المحتمع [133] وتؤثر اليوم تأثيراً كبيراً في الحياة الإنسانية ، ولا يملك الناس إزاءها إلا التفاعل معها وطلب تعلمها واكتساب مهاراتها المطلوبة ، لأن الحياة البشرية أصبحت مرقمنة وتطرد رقمنتها بتطور الاتصال بالانترنت ، ولا يمكن الانعزال عليها ، لأن الحياة البشرية أصبحت مرقمنة وتطرد

---

[132]- مالك بن نبي ، **مشكلة الثقافة** ، دار الفكر ، سوريا ، الاعادة الحادية عشر 1426 هـ- 2005 م ،ص 55.

[133]- محمود أحمد السيد ،**الثقافة العلمية من متطلبات العصر** ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، المجلد 87 ، الجزء الثاني 334

رقمنتها بتطور الاتصال بالانترنت ، ولا يمكن الانعزال عليها ، بل نتجت علوم اكاديمية تختص في آلياتها ووظائفها وعلاقاتها ومدخلاتها ومخرجاتها ، ناهيك عن الكتب العلمية والمجلات والمركز المتخصصة في علم الحاسوب وقضايا الانترنت ، وأصبحت ثقافة الانترنت مصطلحاً رائجًا معتمداً في العلوم الاجتماعية ، " جاء في التقرير الذي أعدته جامعة مُحَمَّد بن راشد للإدارة الحكومية حول العالم العربي والانترنت سنة 2014 ما يلي : تشير أبحاثنا إلى أن أكثر من 135 مليون فرد يستخدمون الأنترنت حالياً في البلدان العربية ال 22 ويقترن هذا مع انتشار للأجهزة الجوالة يبلغ 110% على المستوى الإقليمي وأكثر من 71 مليون مستخدم نشط لتقنيات التواصل الاجتماعي [134]وهي أرقام ونسب مرشحة للازدياد مع التطور الهائل في الاتصال والاستخدامات المتطورة للأنترنت .

ينشأ طفل اليوم وحوله الهاتف والحاسوب والتلفزيون ، فيلتقط هذه الوسائل ويتعامل معها كلعبة في البداية خاصة التلفون ، ولكن بتطور نموه الإدراكي والمعرفي يبدأ في التدرب على استعمالها ، ويكتسب شيئًا فشيئاً المهارات اللازمة لاستعمالها ، تشير إحدى الدراسات التي أجريت في فرنسا إلى أن 50 % من البيوت التي بها أطفال تستخدم الانترنت ، بينما تتراجع النسبة إلى 25 %في البيوت التي يقيم بها زوجين فقط دون أطفال وتتراجع إلى 16 %في البيوت التي يقطنها أشخاص بمفردهم[135] ، ينشأ الأطفال على الأنترنت باكراً ويضاعف اتصالهم بها في المدارس من خلال البرامج الالكترونية والسبورات الذكية والتعلم عن بعد ، وتمسي هذه التكنولوجيا حتمية في حياة الاطفال فيقبلوا على الاستزادة من معارفها وتطبيقها في الميادين المعرفية والاتصالية والتجارية وحتى في الميادين غير الاخلاقية ، واحتكاك الطفل الجزائري بالانترنت ظاهرة آخذة في التوسع ، إذ تشير الإحصائيات النمو الملحوظ والسريع في عدد مستخدمي الأنترنت من الأطفال في الجزائر، إذ انتقلت نسبة الذين تتراوح أعمارهم ما بين 10 و19 سنة من9 % من مجموع مستخدمي الانترنت في الجزائر عام 2009م إلى 19 %من مجموع

---

[134]- عبدالقادر طالبي ، **أثر شبكة الانترنت في ثقافة الإنسان العربي المعاصر** ، مجلة تاريخ العلوم ، العدد السابع – مارس 2017، ص 2 .

[135]- بايوسف مسعودة ، **الطفل والانترنت المنزلي ،مجالات الاستخدام والإشباعات المتحققة** ، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، العدد 27 ، ديسمبر 2016 ، ص 2 .

المستخدمين سنة 2010م [136]

وهو رقم يتضاعف كل سنة وينبئ عن ان ثقافة الانترنت أصبحت ثقافة آسرة للناس يقبلون عليها بنهم وحماس ويرونها ثقافة ملزمة للفرد في عصرنا الرقمي ، وإلا وصم رافضها بالتخلف أو عدم التكيف مع مقتضيات العصر وتغيره التكنولوجي المذهل ، واتصال كل الأنشطة الحيوية بالانترنت ، لدرجة أن الاستعمال المفرط أدى إلى عديد الاضطرابات النفسية ، ففي دراسة هدفت إلى التعرف على العلاقة بين إدمان استخدام الإنترنت ببعض أعراض الاضطرابات النفسية لدى عينة من طلبة جامعة غرداية ، بلغ تعدادها 1200 طالب وطالبة، تم اختيارها بطريقة عشوائية على مستوى كليتي العلوم والتكنولوجيا وكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية .أظهرت نتائجها أن هناك علاقة بين إدمان استخدام الانترنت وبعض أعراض الاضطرابات النفسية لدى عينة الدراسة ،وأن هناك فروق بين مدمني استخدام الانترنت وغير مدمني استخدام الانترنت في بعض أعراض الاضطرابات النفسية لصالح المدمنين (نقص في الدعم الاجتماعي ، السعادة ،الشعور بالإحباط ، الابتعاد عن الأنشطة الاجتماعية [137].

-4**الثقافة تراكمية** : ينتج الانسان الثقافة باستمرار على اختلاف المكان والزمان ، وبفعله هذه تتراكم التجارب وتنمو وتتطور ، وينطلق الجهد البشري مما توصل إليه الجهد الماضي فيكمل المسير وينقب فيما يجب أن يضيفه إلى الجهد السابق ويفكر فيما لم يفكر فيه العقل الاول ليسهل الانتفاع منه ويطور الخدمة التي انتهى إليها سلفه الأول ، وبذلك يتطور الإبداع في العلوم والمعارف والصنائع والحرف وكل المبتكرات الإنسانية التي تسهم في رفاه الإنسان وتطوير العمران ، " كان الشرق يزخر بالآيات الباهرة ثقافياً وصناعياً وكان كل ما فيه يوحي لدعاة الإصلاح بإدخال الشيء الكثير إلى أوربا رغبة في الاخذ بيدها وتقدمها ، ففي القرن الثاني عشر مثلا عاد نفر من الحجاج المسيحيين من زيارة قاموا بها لقبر الرسول " يعقوب " في سنتاجو ده كومبستيلا في أقصى شمال غرب

---

[136]- بايوسف مسعودة ، **الطفل والانترنت المنزلي ،مجالات الاستخدام والإشباعات المتحققة** ، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، العدد 27 ، ديسمبر 2016 ، ص 2 .

[137]- يوسف قدوري ، **إدمان استخدام الانترنت وعلاقته ببعض أعراض الاضطرابات النفسية لدى عينة من طلبة جامعة غرداية** ، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، العدد 19 ، جوان2015 .

إسبانيا عاد هؤلاء الحجاج ومعهم أول ورقة إلى أوربا جاءوا بها من الأندلس العربية ، وذكر أولئك الحجاج أن العرب يستخدمون الورق للكتابة الجميلة وتدوين الكتب المقدسة ، ويدرس هناك كل كاتب الخط الجميل فهو الخط الوحيد الذي يستخدم للكتابة على الورق الجيد ، هذا الورق الذي كان يوجد بكثرة ، بحيث لا يسمح باستخدامه في الأغراض التجارية [138] ، انتقلت الخبرة من الأندلس إلى الغرب واستوطنت في الدول الأوربية ثم تطورت ونمت إلى ان أبدع الانسان المطابع المختلفة ، فمن خبرة تنتج خبرة أخرى ومن بلد تتحول إلى بلد آخر وتتراكم حتى تظهر في قوالب جديدة تبهر العقل وتختصر الجهد البشري .

وكانت بصريات ابن الهيثم أول علم طبيعي حقيقي عرفه الفكر الاوربي فشيد عليها علم الفيزياء الذي انطلق كما هو معروف من البحث التجريبي في الضوء والبصريات [139]وكذا في الطب فقد وضع الرازي كتاباً صغيراً وهو يعتبر حجة في مادته طبع في أوربا في الفترة الممتدة ما بين عامي 1498هـ -1866 أربعين مرة ، وإلى هذا المؤلف ترجع هذه البحوث الخاصة بالنقرص والحصوة وأمراض المثانة والكلى وامراض الاطفال "[140] وثمة علماء كثر أفادوا أوربا وكانوا سبباً في انطلاق نهضتها وانفتاحها على الصنائع واستخدام الطبيعة ووفرة المنتوجات وتجميع الثروة وتحصيل القوة والمنعة .

وثمة افتراض باحتمال أن اللغة والطقوس والشعائر نشأت وتطورت لتساعدنا على تطوير وصون علاقاتنا مع أفراد ربما تكون أهدافهم ورغباتهم شديدة الاختلاف عن رغباتنا [141] فانتشار اللغة تساعد على الاتصال ومن ثمة يتمكن المتحدثون بلسان مشترك من التحاور والتعاون وعقد الاتفاقات الديبلوماسية والاقتصادية والثقافية لخدمة

---

[138]-سيجريد هونكه ، **شمس الله تشرق على الغرب فضل العرب على أوربا** ،ترجمه وحققه وعلق عليه فؤاد حسنين علي ، دار العالم العربي ، القاهرة ، ط 2 ، اغسطس 2011- رمضان 1432 م ، ص49.

[139]- مُحَمَّد عابد الجابري ، **المسألة الثقافية** ، ص 27 .

[140]- سيجريد هونكه ، **شمس الله تشرق على العرب فضل العرب على أوربا** ،ترجمه وحققه وعلق عليه فؤاد حسنين علي ، دار العالم العربي ، القاهرة ، ط 2 ، اغسطس 2011- رمضان 1432 م ، ص49

[141]-روبين دونبار وآخرون ، **تطور الثقافة ، رؤية في ضوء منهج البحوث المتداخلة** ، ترجمة شوقي جلال ، ص 33 .

قضايا الثقافة المشتركة ، والطقوس أيضاً تنمي التبادل والتساند ، وامتزاج العواطف ببعضها وتقريب وجهات النظر بين الأفراد يفتح التلاقي واسعاً يقبل فيه الناس على بعضهم بعضاً وينجزوا أعمال فنية أو أدبية أو سنيمائية أو رياضية أو فكرية مشتركة تقلل من اختلاف وجهات النظر وتوجه الجهد إلى الهدف الحضاري المجتمعي .

5-إمكانية انتقال عناصر الثقافة بالاحتكاك : حال حدوث الاحتكاك يحدث انتقال عناصر الثقافة بين المجتمعات ففي الحقبة الاستعمارية ، حاول المستدمر نقل لغته وثقافته إلى الجزائر ،على غير اختيار منه ، لأن فكرته الاستدمارية تقضي سحق ثقافة المستعمر والقضاء عليها وإحلال الفرنسية والمسيحية وحدها ، وادعاء ان الفرنسة عملية تمدينية للمجتمع الجزائري ، وقد عمل على المسخ زمناً طويلا ، ولكنه لم ينجح في طمس الهوية لان الثقافة العربية الإسلامية " ليست مجرد نقوش أو بقايا أطلال أو مجرد رموز ورقصات وأغان وأعراف ، ليست بقايا ثقافة الماضي ، بل هي تمام هذه الثقافة وكليتها : إنها العقيدة والشريعة واللغة والأدب والعقل والذهنية والحنين والتطلعات ، وبعبارة أخرى ، إنها في آن واحد : المعرفي والإيديولوجي وأساسهم العقلي وبطانيتهما الوجدانية "[142].

فهي عميقة في وجدان الإنسان الجزائري باعتباره مسلماً موحداً ، ومهما حاول المستعمر نقل ثقافته إليه يفشل في ذلك ، مع بقاء بعض أوليائه وأنصاره في الجزائر ، ولكن العقيدة تحمي الثقافة من الانسلاخ والذوبان في الآخر قد تنتقل بعض عوائده ومظاهر حياته وتعبيراته ورموزه ، ولكنها لا تشكل هوية للإنسان الجزائري ولا يتخذها قاعدة في ذوقه وخياراته وتطلعاته وطموحه ، على أن الانتقال الثقافي يصاحب دائماً القوة التي يكتسبها المجتمع الموزع لثقافته والمهيمن على الثقافات الغيرية والمتسيد عليها ، فأمريكا اليوم قوة اقتصادية وعسكرية وتكنولوجية تنتج ثقافة عالمية وتؤثر بها على بقية الشعوب ، بما تنتجه من العلوم والمعارف وكذا دور السينما والأفلام ، وقوة الاعلام البارزة في القنوات التلفزيزنية العديدة المنتشرة عالمياً ، و" قد حاولت امريكا على صياغة سياسة دولية

[142]- محمد عابد الجابري ، **المسألة الثقافية** ، ص 88.

أطلقت عليها " سياسة الاحتواء " كان هدفها محاصرة النفوذ الشيوعي وتقييد حركة المعسكر الاشتراكي وتتبنى أمريكا سياسة مكافحة الإرهاب ومحاربة القاعدة ومحاصرة الدولة المارقة ومحور الشر ، وتخفي هذه الشعارات وراءها منطق سياسة الهيمنة ومحاربة نظم الممانعة والاستقلال ، كما يمكن تفسير سياسة إيران اتجاه أمريكا كانعكاس لصورة ثقافة الشيطان الأكبر التي أعلنها الإمام الخميني " أمريكا هي الشيطان الاكبر " [143] وتحشد لهذه الخيارات الأموال والجهود من أجل السيطرة والاستحواذ على ثقافات الشعوب .

وصارت أمريكا تصدر نمط الحياة والسلوك الامريكي إلى كافة دول العالم ، وما لقيه ذلك من مقاومة أوربية واحتجاج واعتبار ذلك خطراً استراتيجياً يهدد الاستقلال الاقتصادي والسياسي والهوية الثقافية الأوربية ، وقد تكون مقاومة فرنسا لها بمناسبة مفاوضات الغات دفاعها عما بات يعرف باسم الاستثناء الثقافي واتخذت الدول الخمس عشر الاعضاء في الاتحاد الاوربي أن يكون 51 % من المواد الدرامية المعروضة تلفزيونياً من إنتاج أوربا هذا بدوره فتح معركة كبرى أدت إلى قيام المنظمة العالمية للتجارة[144]

نشأة وتطور مفهوم الثقافة :

" تعود جذور كلمة culture إلى اللفظ اللاتيني culture الذي يعني حرث الأرض وزراعتها ، وقد ظلت اللفظة مقترنة بهذا المعنى طوال العصرين اليوناني والروماني ، حيث استخدمها شيشرون مجازاً بالدلالات نفسها ، فقد أطلق على الفلسفة Mentis Culture أي زراعة العقل وتنميته ، مؤكداً أن دور الفلسفة هو تنشئة الناس على تكريم الآلهة وقد ظلت الكلمة هكذا حتى القرون الوسطى حيث أطلقت في فرنسا على الطقوس الدينية Cultes[145] وارتبطت الثقافة منذ النشأة الأولى بعمل الأرض ، أي أن الإنسان ينجز لوطنه

---

[143]- عدالة جعفر ، **ثقافة الاوسكار وصناعة الهيمنة الثقافية الامريكية** ، **آفاق سنمائية** ، العدد 2 ، جامعة سطيف ، ص 52 .

[144]عدالة جعفر ، نفس المرجع ، ص 56 .

[145]– ناصر محمد عارف ،**الحضارة– الثقافة– المدنية** ،**دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم** ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، عمان الطبعة الثانية ، 1415هـ – 1994 ، 7.

ويقدم نفعًا لأبناء وطنه ، ثم ارتبطت في القرون الوسطى (الربع الأخير من القرن الخامس الميلادي وحتى نهاية القرن الخامس عشر) بالدين فالمثقف يرتبط بدينه ويلتزم طقوسه ، وسمة التثقف تكريم الآلهة ،وقد نجحت الكنيسة في إحكام سيطرتها على السياسة والتعليم والثقافة ساعدها في ذلك:

أ– أن الكنيسة أخذت تنمو في ظل عالم من التناحرات والصراعات السياسية والقومية تحرك هذه الصراعات (المصالح الشخصية) للقيادات ومالكي الأراضي ويغيب عنها أي متغير فكري أو إيديولوجي ، وكذلك أي تمايز ثقافي أو ديني فيما بين المتصارعين **ب–** العامل الذاتي الذي توفر للكنيسة الكاثوليكية والذي تجسد فيما يمكن تسميته بسلسلة متواصلة من البابوات الذين تمكنوا من الحصول بفعل نشاطهم وحسن أدائهم على احترام وتقدير من جانب الفعاليات السياسية والاجتماعية في المناطق التي انتشر فيها الإيمان الكاثوليكي. ج- إن الكنيسة قد استمدت وضعها في القرون الوسطى باستنادها الى نظرية" **السيفين** " ، والتي خرجت من إطارها الحقيقي الذي يشير : " بأن شؤون الروح والخلاص الأبدي هي من اختصاصات الكنيسة ومجال تبشيرها وتعاليمها ويقوم بها القس، أما مجريات الأمور الدنيوية اليومية والمحافظة على السلم والنظام والعدالة فهي من اختصاص الحكومة المدنية ويجب أن تسود بين هاتين المجموعتين علاقة من القيم الخلقية تعتمد على روح التعاون والتساند[146].

وظلت الكنيسة في القرون الوسطى تدجل على الناس وتوهمهم بغفران الخطايا مقابل الأموال التي يحصلها القسس على ذلك وتجدر الإشارة إلى أن هؤلاء الأوروبيين قد اعتمدوا طرائق شتى في نقل خصائص الحضارة العربية الإسلامية إلى العالم الغربي في القرون الوسطى؛ منها الترجمة الشفاهية التي قام بها علماء أوروبا العائدين من الأندلس، إذ كانوا يملون على تلامذتهم ما تعلموه من بلاد المسلمين، ومنها أيضا حديث الفرسان العائدين من الحروب الصليبية ورواياتهم عما لاحظوه وتعلموه في بلاد الشرق، بالإضافة إلى الكتب التي ألفها العرب مباشرة

[146]- خالد عبد الإله عبد الستار ، **إشكالية العلاقة بين الدين والسياسة في الفكر السياسي الغربي** ، ص 67 .

باللاتينية في إيطاليا وشمال إسبانيا.[147] وخلال الاتصال الثقافي بين العرب بدأ الأوربيون يأخذون من الثقافة العربية ويحصلون العلوم والمعارف ، لأن الكنيسة لم تحتف بالمعرفة فتوجه الأوربيون إلى طلب المعرفة العربية واستكشاف رقي العرب في الأندلس وغيرها .

وفي سنة 1894 حكم في باريس على ضابط فرنسي من أصل يهودي اسمه ألفريد دريفوس بالنفي إلى غويانا بتهمة التجسس لصالح ألمانيا وكانت هذه التهمة موضوع شك من طرف عائلته وأصدقائه الذين استطاعوا أن يثبتوا بعد عامين زيف الوثائق التي أدين بسببها ، فاتجهوا إلى الرأي العام الفرنسي يستنهضونه للمطالبة بإعادة المحاكمة واستطاعوا أن يجندوا شخصيات مرموقة من عالم الفكر والأدب في فرنسا في ذلك الوقت كإميل زولا الذي كتب مقالة اشتهرت بعنوانها " إني أتهم .. " والذي ساهم مع آخرين أمثال أناتول فرانس ومرسيل بروست ، وسينيوبوس ، وليون بلوم، ولوسيان هير .. الخ في إصدار بيان حمل توقيعهم ونشرته جريدة لورور الفرنسية يوم 14 كانون الثاني – يناير 1894 بعنوان " بيان المثقفين " Manifeste des Intellectuels ، وقد انقسم الرأي العام الفرنسي بصدد هذه القضية إلى معسكرين : أحدهما يطالب بإعادة المحاكمة ويضم شخصيات يسارية واشتراكية شكلت " التجمع الجمهوري " الذي رفع شعارات ليبرالية مثل الدفاع عن حقوق الإنسان ، ومناهضة " اللاسامية ".. الخ أما المعسكر الثاني فكان يضم " الوطنيين " خصوم الجمهورية الذين عارضوا إعادة المحاكمة وهددوا بالقيام بانقلاب .. وبعد صراع مرير بين المعسكرين انتصر " الجمهوريون وأعيدت محاكمة الضابط المذكور وخفض الحكم إلى عشر سنوات سجناً ثم رفعت القضية إلى محكمة النقض التي ألغت الحكم ، وأطلقت سراح الضابط وأعادت إليه اعتباره"[148] .

---

[147]- محمد عباسة ، **العلاقات الثقافية بين العرب والإفرنج خلال القرون الوسطى** ،مجلة حوليات التراث ، عدد 13 ، 2013 جامعة مستغانم، الجزائر.

[148]-محمد عابد الجابري ، **المثقفون في الحضارة العربية محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد** ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت – لبنان ، ط2 ،كانون الثاني – يناير 2000ص 23.

بيان المثقفين كشف عن وظيفة حيوية للمثقف في علاقته مع المظلومين الذين اتهموا بغير حق وأبعدوا وأدخلوا السجن ، فالذين ينتصرون لحقوق الإنسان ويقفون مع العدالة يعبرون عن ثقافة إنسانية تقف مع الحق وتنحاز إلى مقتضياته ، ولا يهمهم الاستقطاب السياسي الذي يمكن أن يغمط الحق أو يعبث بحقوق المظلومين ، فرغم الصراع السياسي بين الجمهوريين والوطنيين تمكن الجمهوريون من الظفر بحقوق الضابط واسترجاع مكانته ، وهو سلوك سياسي مهم يحدث في القرون الوسطى ، ويؤسس لحقوق الناس ويدفع الجور والاتهام عنهم .

القرن السادس عشر :

وفي عصر النهضة الأوربية أو القرن "السادس عشر " الذي يبتدئ برحلة كريستوف كولومب الأولى في العالم الجديد عام 1492م وحروب إيطاليا 1494م وينتهي بين وفاة إليزابت ملكة إنجلترا 1603 وموت هنري الرابع ملك فرنسا 1610 [149]وجاءت النهضة بعد مرحلة القرون الوسطى التي كانت تحجر على الإنسان وتحجز عنه التفكير مثلما حدث لكوبرنيك (1473–1543م) الذي حكم البابا على نظريته بأنها مخالفة للكتاب المقدس رغم أنه ظهر في القرن السادس عشر ، ومثله ليوناردو فانتشي قرأ القديم كثيراً وأخذ عنه كثيراً ولم يرزح تحت ثقل هذه الكثرة واعتمد على التجربة وحدها أسس الميكانيك وبفضل التجربة كان يبدو سلفاً لنيوتن ، عرف نظرية الامواج وهوية الصوت والنور والحركة وأوجد علم طبقات الأرض ولم يأخذه عن أريسطو أو يلين الشيخ أو عن سفر التكوين ، وقام بالتشريح وكان لديه فكرة عن الجنين والاحوال التي يمر فيها وعن التشريح المقارن [150].

ولا شك أن هذا التقدم العلمي يؤثر في الثقافة لا محالة ، ويصيغ الفكر الأوربي صياغة جديدة بعيدة عن مرحلة القرون الوسطى ، ويرسخ التفكير بالعلم في شؤون الحياة المختلفة ، ويرشد الحياة المجتمعية ، وتصبح الروح العلمية

---

[149]- نورالدين حاطوم ، **تاريخ عصر النهضة الاوربية** ، دار الفكر ، دمشق ، 1405 هـ – 1985 م ، ص 5 .

[150]- نورالدين حاطوم ، **تاريخ عصر النهضة الأوربية** ، ص 9 .

بمثابة الميزة الثقافية التي تميز التعامل والتفاعل مع المواقف الطبيعية والاجتماعية والإنسانية ويتخاطب الناس بالعلم لا بالخرافة ، وتقوم تقاليد وعادات مجتمعية تستجيب لمتطلبات العلم وحقائقه .

كانت الحركة الإنسانية أساسًا لتطوُّر كتابات تاريخية تعبّر عن التطور الفكري والمادي لمجتمعات المدن، ولا سيما الإيطالية منها، التي أثّرت فيها النخب المثقفة في السلوك والأفكار في مجالات شتى، كانت الريادة في ذلك لمؤرخي مدينة فلورنسا الذين استطاعوا، بسبب توجهات الحركة الإنسانية، أن يتخلصوا من سلطة الكنيسة وأطروحاتها الفكرية، فهُم وجدوا مصدر إلهام لهم في قراءة التراث الكلاسيكي، وفي معاينة الحاضر وفهم خلفياته التاريخية، وهذا ما دفع كثيرين منهم إلى تجاوز المنحى الديني، والتفسير الغيبي المستند إلى المشيئة الإلهية، فعالج مؤرخو فلورنسا (إيطاليا) التاريخَ من خلال الحوادث التي كانت تشكل إطارًا لحركة التاريخ، وهؤلاء المؤرخون الرواد هم: فالا المعروف بمقاربته النقدية، وغيشياردييني الذي اشتهر بعمق تحليله، ونيكولو مكيافيلّي الذي تميّز بنظرته المجددة إلى مسألة السلطة والفعل السياسي.[151].

أصبح المثقف الغربي في عصر النهضة يتعامل مع الواقع الاجتماعي ويفكر داخله مستقصياً عناصره ومكوناته وباحثاً عن مدلولاته ومضامينه في حل مشكلاته ذات الصلة بحياته ، غير عابئ بالتفسيرات الدينية والغيبية التي تروجها الكنيسة ويتحدث بها رجال الدين ، أو تلك التي يقتنع بها الموالون لفكر الكنيسة أو رجال الإقطاع الذين هيمنوا على الحياة الاقتصادية ونهبوا الأراضي وفضلوا الإبقاء على الموروث الكنسي وتقبل كهنوته المضاد للعقل وغير القابل للنقد ، في زمن النهضة تحرر النقد وأمسى اتجاهاً فكرياً يقوم به المفكرون سيما في إيطاليا لأجل التغيير وتحسين الحياة المجتمعية وإنماء الوعي السياسي والاجتماعي والديني والاخلاقي .

---

[151]-ناصر الدين سعيدوني ، **الفكر التاريخي الأوروبي من القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر من لورانزو فالا إلى كوندورسيه** 24 مارس،2022 . المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات– الموقع الالكتروني –.

وبفضل حركة الفكر استرد الانسان اعتباره وكذلك الحياة الدنيا بعد ألف عام من العصور الوسطى ملأت أوربا بالأديرة وأقنعت البسطاء أن نصيبهم في ميراث الأرض هو حرثها وزرعها ، وأن ميراثهم الحقيقي هو ما عبر عنه حسين فوزي يسميه " القيراط الخامس والعشرون الحياة ذاتها خطيئة ، فما بالك بمجد الحياة : بالعلم والفن والفكر والمال والجمال والقوة والسعادة والحرية والمساواة ، مجد العلم زائل وكل هذه الكنوز لا معنى لها إلا في العالم الآخر ،جاء لونزو دي مديتشي وبيكو ديللا ميراندولا ،وإرازموس ليدحضوا ذلك كل بمنطقه الخاص ، بل جاء كامبانيلا ليتصور إمكان بناء المدينة الفاضلة على الأرض[152] ، فالعقل الأوربي اقتنع بقدرته على التغيير وتحويل الطبيعة إلى طبيعة تنبت النفع وتؤتي اكلها كل حين ، فانطلق لا يلوي على شيء يفكر في كل شيء ويجرب كل شيء بدافع التطور وتحصيل القوة.

القرن السابع عشر :

ومن أهم العوامل التي أسهمت أيضًا في تقدم العلم في مرحلة النهضة، خاصةً في القرن السابع عشر، تلك المناظرات الثرية التي حدثت بشكل غير مباشر بطبيعة الحال بين المنهجين التجريبي والعقلي، إذ دافع من يمكن أن نسميهم "العقليين" عن إمكان إدراك الواقع عن طريق التصورات التي يُكونها العقل، بينما حاجج التجريبيون بأن المعرفة تُدرك بالدليل المستند إلى مختلف أنواع التجارب العملية. وفى ثنايا ذلك الاختلاف المنهجي، أخذ دور العقل في التطور والازدهار، وحدث تكامل بين المنهجين التجريبي والعقلي بدءًا من ديكارت، مثلما التقت أفكار ورؤى كثيرة بدأت مختلفةً ومتناظرةً في مجرى التطور الذى أحدث قطعًا مع العصر الوسيط، وحرث الأرض التي كانت قاحلةً فأينعت فيها ورودٌ وأزهارٌ متنوعةٌ ألوانُها وروائحُها، فبدأ الانتقال من مرحلة النهضة إلى مرحلة التنوير طبيعيًّا أو قُل تلقائيًّا، بعد أن اكتمل الجسر بينهما تدريجيًّا مع بلوغ التطور فى العلم مستويات أعلى[153] .

---

[152]- لويس عوض ، **ثورة الفكر في عصر النهضة الاوربية** ،مركز الأهرام للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط 1 ، 1987 م ،

[153]- وحيد عبد المجيد ، **مراحل التقدم في أوربا ، مسار التطور والتراكم** ، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية ، يناير 2022

إلا أنه في القرن السابع عشر، دخلت الثقافة بمأزق ولم تبدأ كلمة ثقافة إظهار نفسها مجازياً في هذا المعجم الأكاديمي الفرنسي الذي تمت طباعته عام 1718م، ولحق بها المضاف وأصبح يُقال: ثقافة المجتمعات والفنون وثقافة العلوم كما لو كان تحديد الشيء للعديد من المفردات، ولغة عصر الأدب كما أن هذه اللغة ضرورية، ودخلت الكلمة في الأنوار دون أن يستخدمها الفلاسفة ، ولم يلق الناثرون الفرنسيون في الخارج الرواج الذي لاقاه الشعراء ، فقد طبعت آثار رابليه طبعاً رديئاً في جميع البلاد اللاتينية ، واتهم بضرب الاحترام الواجب نحو رجال الدين والتمهيد للهرطقة، غير أن هذه النزعات نفسها كانت مدعاة لتقديره ، ولكن آجلا في انكلترا وألمانيا ، وبدأ يظهر في القرن السابع عشر مثل تأثير مونتين الذي ترجمت آثاره لأول مرة إلى الانجليزية عام 1603 م [154].

فالنثر انتشر واسعاً في فرنسا بفعل الفكر الجديد الذي جاء به والمتنفس الذي جعل الإنسان الأوربي يستقبل النتاج الأدبي بنهم يطلع عليه ويقرؤه ويتمثله في فهم المواقف والأقضية التي يطرحها الشارع الاوربي وتجيب على إشكالات سياسية واجتماعية مختلفة ، واستعمل توماس هوبز(1855-1697) الثقافة بمعنى العمل الذي يبذله الإنسان لغاية تطويرية سواء أكانت مادية أم معنوية ، تطورت كلمة الثقافة وأصبحت تنصرف للجهد الذي يبذله الإنسان من أجل نماء مجتمعه وتطوره في مختلف الفنون والمعارف ذات الصلة بالحياة الاجتماعية ، وتتوجه دائماً بمنطق العمل والنشاط والحركية الدائبة في التقدم .

القرن الثامن عشر :

" الرأي الشائع والمألوف أن عصر التنوير هو القرن الثامن عشر الذي يشكل منعطفًا حاسمًا في تاريخ الحضارة الأوروبية ومما لا شك فيه أن ثورة العقل والتنوير لم تكن قفزة مفاجئة جاء بها القرن الثامن عشر دون النظر، أو الاهتمام بالعصور السابقة عليه، كما لا يمكننا أن ننكر ما قدمه مفكرو عصر النهضة في استنارة العقل وتشكيله في القرن الثامن عشر وهما " جون لوك " و" نيوتن " حيث كان نيوتن ليس رائداً للعلم الحديث فقط ، فقد كانت

[154]- نورالدين حاطوم ، **تاريخ عصر النهضة الاوربية** ، ص 388 .

قوانينه لها الأثر في القرن الثامن عشر ، بالإضافة إلى القانون الرياضي المهم عن العلاقة بين الكواكب وقوانين الجاذبية ، وقد ساعدت هذه الإنجازات في تفسير الظواهر " [155]وإدماج المجتمع الأوربي في عهد جديد من العلم ومخرجاته التنموية وصلاته العميقة مع كل القطاعات الحياتية ، والوعي بأهميته في تيسير الحياة والسيطرة على الطبيعة وتوظيفها في رفاه الإنسان الأوربي " وقد اتسم نيوتن بالانعزالية والعمل وحده ، وأرسى دعائم الحقيقة الوحيدة والعميقة التي تقرر أن الكون يعمل وفق مبادئ رياضية ، وهوك كان عالماً اجتماعيا واسع الأفق ، وقدم العديد من الأفكار الجديدة المتنوعة والمبهرة ، ولكنه أيضًا أنجز أكثر ما فعل أي إنسان آخر ليحول الجمعية الملكية من ملتقى لثرثرات السادة إلى نموذج مثالي للجمعية العلمية، بيد أن سوء حظه أوقعه عن غير رغبة منه في عداء مع نيوتن ، وأن توافيه المنية قبل نيوتن مما هيأ لخصمه اللدود الفرصة لإعادة كتابة التاريخ ، الأمر الذي نجح فيه بصورة فاعلة ونافذة ، بحيث إن هوك لم يتسن للتاريخ أن يرد له اعتباره إلا خلال العقود القليلة الماضية [156].

وقد هيأ نيوتن الأرضية لبزوغ العلم " وبعد عشرين سنة من الإعداد ظهر أهم كتاب في العلم في القرن السابع عشر لا يضارعه في عظم تأثيره في ذهن مثقفي أوربا سوى كتاب كوبرنيكوس في " دوران الأجرام السماوية " 1543 وكتاب دارون في " أصل الأنواع " 1859 ، يقول ديورانت " في كتابه قصة الحضارة " هذه الكتب الثلاثة هي أهم الأحداث في تاريخ أوربا الحديث نفدت الطبعة الأولى من كتاب المبادئ سريعاً ولم تظهر له طبعة ثانية حتى عام 1713 وقلت نسخه حتى إن عالماً قام بنسخه كله [157]، تصحيح النظرة إلى الكون التي كانت بعيدة عن المنطق العلمي ، واكتشاف الجاذبية وبحوث الضوء وغيرها ألهمت العقل الأوربي إلى البحث والاكتشاف.

يعد إسهامَ ديكارت المبنى على تميزه علميًّا وفلسفيًّا أهم أُسس الجسر الذى ربط بين مرحلة النهضة التي استمرت زهاء ثلاثة قرون، والمرحلة الثانية في مسار التطور في أوروبا وهى مرحلة التنوير في القرن الثامن عشر، وقد

---

[155]- حواء سالم امحَّد سالم ، **التنوير في القرن الثامن عشر وأثر العقلانية فيه** ، مجلة جامعة سبها للعلوم الإنسانية ،ليبيا ، نوفمبر 2021، ص 59.

[156]-جون غريبين ، **تاريخ العلم 1543– 2001** ، ترجمة شوقي جلال ، عالم المعرفة ، المجلس الاعلى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ،ص 189

[157]-خالد العاني ،**إسحاق نيوتن** ، ص 7.

عمد إلى تعزيز شهرته المتميزة بالفعل كمفكر ورجل واسع العلم والمعرفة في محاولاته ومراسلاته مع هؤلاء الأصدقاء أمضى أربع سنوات من 1629 إلى 1633 في إعداد رسالة ضخمة عاقداً العزم على أن يعرض فيها جميع أفكاره عن الفيزياء ويحمل هذا العمل عنوان: العالم أو رسالة عن الضوء le Mend ,ou Traite de la Leumiére .[158]وفتح ديكارت بهذا المؤلف الباب واسعاً لتطوير علم الفيزياء وتعميق التفكير في ظاهرة الضوء وتفعيل حركة الصناعة والتقنية .

وكان لكل من جورج بيركلى (1685–1753)، وديفيد هيوم (1711-1776) أيضًا دور كبير في بناء ذلك الجسر، وكان التقريب بين المنهجين التجريبي والعقلي من الدعائم الأساسية التي أتاحت هذا التطور، فكأن الجسرَ بين مرحلتي النهضة والتنوير سبقَهُ جسر بين هذين المنهجين "وقد وجد فلاسفة القرن الثامن عشر أن التقدم الاجتماعي والثقافي، تقع مسؤوليته في يد الإنسان نفسه، وفي قدراته وثقافته، وليس في الاعتقاد بأن الرب سوف يتدخل لكي يوقف انحدار الإنسان إلى أسفل السافلين، ولكي يعيده إلى مدينة الله، رفض أفكار أوغسطين، هو بداية الفكر الحديث، فلاسفة القرن الثامن عشر، بدأوا يتشككون في عقيدة سقوط الإنسان من عليائه، وعجزه الكامل عن فعل أي شيء حيال هذا السقوط، ثم قاموا بمقارنة علوم وأخلاقيات عصرهم بعلوم وأخلاقيات القدماء، فوجدوا أن هناك تقدما قد حدث بالفعل.[159]

ويرى كانط في (1724- 1804) في مؤلفه " مشروع فلسفي للسلام الدائم (1795) بأن السلام ليس قضية الأمراء بل قضية الشعوب ، فالحرب تدخُّل لا يقبل في دولة مستقلة ، وكذلك يشجب كانط الخدمة الإلزامية

---

[158]– جون غريبين ، **تاريخ العلم 1543– 2001** ، ترجمة شوقي جلال ، ،ص 156.

[159]- مُحَمَّد زكرياء توفيق ، **فكر الانوار الفرنسي** ، الحوار المتمدن–العدد: 4703 - 2015 / 1 / 28 المحور: دراسات وابحاث في التاريخ والتراث واللغات

ويؤكد بأنه يجب أن لا تحدث أي حرب بدون موافقة المشتركين ، أي الشعب ذاته [160]، تناغمت الثقافة مع الظروف السياسية الحاصلة ، والمفكر لم يكن معزولا عن التغيرات السياسية ، بل كان ينقد الأوضاع ويقدم توجيهاته وأفكاره ، وينحاز إلى المجتمع الذي ينتمي إليه ، فكانط Kant يرى أن الحرب لا تكون إلا بمشاركة الشعب والنزول عند خياراته ، فالحرب أو السلم قضية شعبية وليس متعلقة بالأمراء فقط ، أو أولئك الذين يتحكمون بالشأن السياسي خفية .

ما جعل للثورة الثقافية تأثير سياسي واجتماعي، هو ظهور مفكرين، أو فلاسفة المقاهي، كما كانوا يسمونهم هؤلاء المفكرون كان تأثيرهم السياسي مباشرًا، لأنهم لم يكونوا فلاسفة تقليديين في أبراج أكاديمية عاجية، يكتبون بلغة لا يفهمها أحد ،لكنهم كانوا أصحاب قلم، علماء وفلاسفة وأدباء،لقد كانوا جزءًا من الحالة الاجتماعية والدينية والاقتصادية، نجحوا في خلق رأي عام بين الطبقة المتعلمة، وكانوا هم أنفسهم من الطبقة المتوسطة القريبة من الناس، لذلك عندما بدأوا في مهاجمة السلطة والكنيسة التفت حولهم عامة الشعب.[161]وصار الهم الشعبي يتناغم والهم الفكري الذي ينتجه الفكر ويهتم به المفكر، فباتت الثقافة وعي مجتمعي يفهم ويدرك من خلال أوضاع الناس ومشاكلهم واهتماماتهم وطموحاتهم .

القرن التاسع عشر :

" كان الحدث الرئيسي الذي أثر في وقائع القرن هو قيام الثورة الفرنسية وما ترتب عليه من آثار غير مسبوقة في تاريخ أوربا السياسي والاجتماعي والاقتصادي ، وإذا كانت اقتصاديات القرن التاسع عشر قد تأثرت بصفة خاصة بالثورة الصناعية في انجلترا التي انتشرت في سائر أنحاء أوربا بل والعالم الجديد، فسياسة أوربا في القرن التاسع

---

[160]- جان توشار ، **تاريخ الأفكار السياسية من عصر النهضة إلى عصر الانوار** ، ج 2 ، ترجمة ناجي الدراوشة، دار التكوين للتأليف والنشر والترجمة ، سوريا ، ط1 ، 2010 ، ص 583 .

[161]– مُحَّد زكرياء توفيق ، **فكر الانوار الفرنسي** ، الحوار المتمدن–العدد: 4703 – 2015 – الموقع الالكتروني – .

عشر قد تأثرت كذلك بالثورة الفرنسية ، فبينما قدم الانجليز للأوربيين نماذج للسكك الحديدية والمصانع ساهمت فرنسا في أحداث الثورات كما قدمت لدولها أفكارها ، لدرجة أن الألوان الثلاثة التي اتخذه الثوار شعاراً لهم قد أصبحت رمزاً للشعوب التي استطاعت أن تثبت كيانها الثوري ، وتأثرت أحداث أوربا السياسية بين عامي 1789 (الثورة الفرنسية) ، 1917(الثورة البلشفية) بالصراع بين مؤيدي مبادئ عام 1789 ومعارضيها ، ونجحت فرنسا في أن تقدم حلولا مختلفة لأمثلة النظم الحرة الديمقراطية ، وأن تثبت في كثير من الأحيان إدراكها السليم لاحتياجات الأمة والعمل على توفيرها فقدمت القوانين والأنظمة العلمية والفنية ومنها النظام المئوي للقياس والوزن المبني على الوحدة المئوية (المتر والكيلو)تلك الانظمة والقوانين التي أخذتها عنها سائر الدول الأوربية بل والعالم أجمع " [162]. وهذا الواقع الحضاري انعكس إيجاباً على الثقافة الأوربية ، فانتشرت القوانين والنظم والتشريعات أفقياً وعموديًا في الحياة العامة ، وبثت الثورة الفرنسية في وعي المجتمع الدفاع عن حقوقه ومطالبه ، وبتطور الاتصال عن طريق السكك الحديدية تعرف المجتمع الاوربي إلى بعضه وتعددت قنوات الاتصال ، وباتت الفكرة هماً مشتركاً بين أفراد المجتمع الأوربي.

" ولم تنقض أعوام قليلة حتى تيقنت الحكومات الأوربية بأن روح الثورة لا زالت تهز النفوس وتهفوا إليها القلوب وأن الهيمنة على الجامعات ومراقبة الاجتماعات ومعاداة أصحاب الرأي والتضييق على النواحي الفكرية لا يمكن أن يعيد عجلة التاريخ إلى الوراء ، فبالرغم من كل المضايقات استطاعت اتحادات طلبة الجامعات الألمانية ان تصبح قوة مؤثرة في المجتمع (1815– 1819م) ونشطت جمعيات الكاربوناري في أرجاء إيطاليا ، وسجلت حركات تمرد بنابولي وبيدمونت وإسبانيا والبرتغال ، وانتشرت إلى عمال إنكلترا ولم تسلم منها حتى اليونان المستقلة حديثاً ، وبالرغم من نجاح الجيش النمساوي في قمع الحركة التحررية في إيطاليا بنابولي وتورينو (1820) وتدخل فرنسا في إسبانيا الذي أرجع فردناند السابع إلى العرش (1823) ، وظلت الحركة التحررية بأوربا قوية ومؤثرة في الشارع

[162]- زينب عصمت راشد ، **تاريخ أوربا الحديث في القرن التاسع عشر** ،دار الفكر العربي ، القاهرة ، ص 9 .

ومتحكمة في الجامعات ، وهذا ما عبرت عنه نوادي الشباب الجامعي بألمانيا ((Burshenschaft) في تظاهرات 17 اكتوبر 1817 م في فارتبورغ (Wartburg) بمقاطعة الساكس التي احتفل فيها الطلبة بالذكرى المئوية لمعركة ليبزيغ وبالذكرى المئوية الثالثة لإصلاح مارتن لوثر ، وتم أثناءها إشعال النار في ملابس وكتابات ترمز إلى نظام ميترنيخ وإلى غطرسة حكام بروسيا والنمسا [163]، حراك نقابي طلابي مطلبي ضد المستبدين والمتسلطين على رقاب الشعب انطلق من الجامعة التي تجمع المثقفين والمتنورين في المجتمع الألماني .

وقد " اختفت طبقات كاملة (النبلاء والأشراف والإقطاعيين الوراثيين) وظهرت طبقات جديدة لم يكن لها من قبل أي صوت مسموع (طبقات العمال وأصحاب الأعمال) وكان هذا التغيير الأساسي مقترنًا في البداية باختفاء بعض المعالم الثقافية التي كان يرعاها النبلاء ، وظهور معالم أخرى أكثر ملاءمة للطبقات الناشئة التي لا تتميز بعراقة الأصل أو بامتداد جذورها في الماضي البعيد ، وكان من الواضح أن تحولا ضخماً يطرأ بالفعل على حياة الإنسان الأوربي ، ولكنه بدا للكثيرين عندئذ تحولا إلى الأسوإ، وخيل إليهم أن التاريخ يتدهور وأن القيم تنهار وأن العصر الجديد لن يكون إلا عصر التفاهة والسطحية والابتذال [164].

فالثقافة تحولت من طبقة النبلاء – الذين يتميزون بالتعالي على الطبقات المجتمعية الأخرى ويحسبون الثقافة حكر عليهم وملك لهم – إلى الطبقة المتوسطة ذات التواجد الكثيف في المجتمع ، وهو تحول أسهم في تسيير الثقافة ظاهرة اجتماعية تتموضع بين طبقات المجتمع ولا تكون معطى استقراطياً ينحصر بين فئة بذاتها تخدم أغراضها ومنافعها وتظن بها على الفئات الأخرى ، فالصبغة المجتمعية ميزة الثقافة في القرن التاسع عشر ، صاغها المفكرون والمنظرون في هذه المرحلة .

---

[163]- ناصر الدين سعيدوني ، **عصر الأمير عبد القادر** ، دار بني مزغنة ، الجزائر ، 2016 ، ص 22.

[164]- فؤاد زكرياء ، **نيتشه** ، دار المعارف – مصر ، ط2 ؟ ، ص 9.

واستمرت الكلمة محافظة على جذرها اللغوي والدلالات المشتقة منها إلى أن جاء إدوارد تايلور Tylor(1832-1917) ووضع كتابه " primitive Culture " الثقافة البدائية " عام 1871 وفي أول فقرة من كتابه وضع تعريفاً لهذا المفهوم يقول فيه " هي ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والعقائد والأخلاق والقانون والعرف وغير ذلك من الإمكانيات أو العادات التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في المجتمع " .[165]وأصبح تعريفاً معتمداً لدى الأكاديميين والباحثين في الحقول الاجتماعية والأنتربولوجية ، ولا يكاد يخلو كتاب في الشأن الثقافي من إيراد تعريف تايلور ، تجدر الإشارة إلى أن تايلور " ليس أول من استخدم هذا المصطلح في علم الإناسة ، وهو نفسه كان في استخدامه لهذا المصطلح متأثراً مباشرة بعلماء الإناسة الألمان الذين قرأ لهم، سيما غوستاف كليم G.Klimm الذي كان يستخدم كلمة Kultur بمعنى موضوعي لا سيما حينما كان يحيل إلى الثقافة المادية وهو ما كان مخالفاً للتقاليد الرومانسية الألمانية.[166].

ليس هناك ما يدهش في أن يكون إدوارد تايلور هو مخترع ذلك المفهوم، فهو مفكر حر، ولأنه صاحبي Quaker[167] أي متسامح فقد أغلقت الجامعة الإنكليزية أبوابها في وجهه ،كان تايلور يؤمن بقدرة الإنسان على التقدم، وكان يشترك في هذا مع الفرضيات التطوريّة التي كانت سائدة في وقته، ولم يكن يؤمن بمفهوم الوحدة النفسانية للبشرية الذي كان يفسر التشابهات الملحوظة في المجتمعات الشديدة التباين: يرى تايلور أن العقل البشري يعمل في الشروط المتشابهة بشكل واحد في أي مكان، وبما أنه من ورثة عصر الأنوار فقد انضم أيضاً إلى المفهوم العالمي للثقافة الذي نادى به فلاسفة القرن الثامن عشر.[168]والذي ظل محتكراً للغرب وسمة تتميز بها مجتمعاتهم فقط ، حتى أظهر تايلور أن الإنسان كائن ثقافي ، وأن كل المجتمعات الإنسانية تتعاطى الثقافة باستثناء

---

[165]– ناصر محمّد عارف ،**الحضارة– الثقافة– المدنية ،دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم** ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، عمان الطبعة الثانية ، 1415هـ – 1994 ، ص 22.

[166]- أرنتروبوس، **تايلور والمفهوم العالمي للثقافة** ، موقع الكتروني .

[167]-الصاحبية : مذهب ديني بروتستانتي يدعو من تشيعو له إلى المحبة والسلام وحب البشر .

[168]- انتروبوس ، **تايلور والمفهوم العالمي للثقافة** ، موقع الكتروني

الحضارة التي تتباين بين الشعوب والمجتمعات بين العمران المشيد الفخم في الهندسة والبناء ، وبين العمران البسيط الذي يميز المجتمعات البدائية أو الأقل تقدماً بالنسبة للمجتمعات المتطورة وأضاف تايلور أن الثقافة هي شيء لا يمتلكه إلا الإنسان[169] الذي ينتج مظاهرها وأشكالها ويطور في وسائلها ، ويقوم بنشرها في العالم كله لإبراز تباينه عنها أو تفوقه عليها ، ويجلي الخصائص الإنسانية واللغوية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية في المركب الاجتماعي للثقافة .

وكان الإشكال الذي سعى إلى حله تايلور "هو المواءمة في تفسير واحد بين تطور الثقافة وكونيتها في كتابه " الثقافة البدائية " الذي ظهر سنة 1871 وترجم إلى الفرنسية سنة 1876.. تساءل فيه عن " أصول الثقافة " وعن آليات تطورها ،ويعتبر أول عالم إثنولوجيا يعالج الظواهر الثقافية من منظور عام ونسقي ، وأول من حرص على دراسة الثقافة في المجتمعات بكل نماذجها وبكل صورها المادية والرمزية وحتى الجسدية ، وعلى إثر إقامته في المكسيك فرغ تايلور من تدقيق منهجه في دراسة تطور الثقافة بتفحص " البقايا " الثقافية والتدرج صعوداً إلى الكل الثقافي الأصلي وإعادة تركيبه ، وبتعميم هذا المبدإ المنهجي انتهي إلى الاستنتاج القائل بأن ثقافة الشعوب البدائية المعاصرة تمثل بصفة عامة الثقافة الأصلية الخاصة بالإنسانية [170].

ونظراً لأعماله واهتماماته المنهجية حقَّ لإدوارد تايلور أن يعدّ مؤسس الأنثروبولوجيا البريطانية وبفضله تم الاعتراف بأن يكون هذا العلم فرعاً معرفياً جامعياً، وفي عام 1883 أصبح أول أستاذ لكرسي الأنثروبولوجيا التي درسها في جامعة أكسفورد البريطانية، وأصبح معتمداً في الدراسات الإثنوغرافية والأنتربولوجية وكل المهتمين بالتطور الثقافي ودراسة الثقافات البشرية .

---

[169]-عبدالله احمد جلال الدين ،**كيف تفكر كانتربولوجي** ، مراجعة كتاب ، مجلة تجسير المجلد 2 العدد 2 ، 2022 دار نشر جامعة قطر ، مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية ، ص 2 .

[170]-دنيس كوش ، **مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية** ، ترجمة منير السعيداني ، مراجعة الطاهر لبيب ، ط1 ، آذار – مارس 2007، المنظمة العربية للترجمة ، ص 33.

القرن العشرون :

لقد اججت المواجهة بين القوميتين الفرنسية والألمانية خلال القرن العشرين وصدامهما العنيف إبان حرب 1914- 1918 المجادلة الإيديولوجية بين تصوري الثقافة ، لقد استحالت الكلمات شعارات تستخدم كما الأسلحة وفي مقابل ما كان يدعيه الألمان من الدفاع عن الثقافة (في المعنى الذي كانوا يقصدون) كان الفرنسيون يردون باتخاذ موقع أبطال الحضارة ، ذلك ما يفسر الأفول النسبي ، في بداية القرن العشرين في فرنسا الذي شهده استخدام كلمة " ثقافة " في معناها الجماعي ، إذ كانت الإيديولوجيا القومية الفرنسية تحرص على التمايز البائن حتى في مستوى التعابير عن منافستها الألمانية ، غير أن نزاع الكلمات استمر بعد انقضاء الأسلحة كاشفاً عن تعارض إيديولوجي عميق ليس بالإمكان رده إلى مجرد دعاية حربية ، كانت المجادلة الفرنسية الألمانية الممتدة من القرن الثامن عشر إلى القرن العشرين نموذجية في تمثيلها تصورين للثقافة ، أولهما تخصيصي ، وثانيهما كوني ، وهما في أساس الطريقتين في تحديد مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية المعاصرة "[171].

فالثقافة دخلت المعترك الحربي بين القوميتين ووظفت مفردات عديدة للتعبير عن استعداد إحدى القوتين للفتك بالأخرى ، وتظهر نفسها على أنها الثقافة الجديرة بالسيادة وقيادة البشرية وفرض الخيارات الثقافية على المجتمعات الأخرى ، ومحاولة ترويجها وتسويقها للرأي الدولي ، والغلبة العسكرية تؤدي للغلبة الثقافية وتكسب كثيراً من الأنصار لها ، وإن كانت الغلبة مؤقتة لا تستمر طويلا ، مثلما حدث للبلدان الفقيرة التي انعتقت من الاستعمار وتحررت من أغلاله العسكرية ، ولم تزل بعد الأغلال الثقافية والسياسية والاقتصادية توجه الرأي العام وتؤثر على سيرورة الاستقلال، وقد كان " للنزاع بين هذه الدول القوية والكبيرة جذور عميقة ، إذ نجمت الكثير من التوترات جراء ظهور أمة قوية في وسط القارة ، كما أدى النصر الذي حققته الولايات الألمانية بقيادة أوتوفون بسمارك في

---

[171]- دنيس كوش ، **مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية** ، ترجمة منير السعيداني ، مراجعة الطاهر لبيب ، ط1 ، آذار – مارس 2007، المنظمة العربية للترجمة ، ص 27 .

بروسيا على فرنسا في الحرب الفرنسية البروسية عامي 1870و1871 إلى ظهور ألمانيا الموحدة ، كما أنه خلق حالة من التوتر الفرنسي بلغ ذروته بحصول ألمانيا على مطلبها بالسيطرة على مناطق الحدود الاستراتيجية والتي تشمل كامل مقاطعة الألزاس وجزءاً من اللورين [172] ، وهذا النزاع يؤدي إلى التأثير الثقافي بين البلدين ، فتحاول كل قوة التمظهر بالقوة والسلاح وتسويق فكرة الحرب عبر استعادة الأمجاد الماضية وتكوين رأي اجتماعي يحتفي بالحرب ويسعى لتدمير الآخر " فقد ساهمت الدعاية الألمانية والعثمانية بعدة طرق لبث فكرة الثورة لدى الجزائريين من خلال أبسط المعاني التي يمكن إيصالها للمجتمع الجزائري ، ولطالما شجعتهم هذه الدعاية على الهجرة والبحث عن حياة أفضل ، غير أن هذه الدعاية لم تتمتع بالحرية المطلقة في البلاد بل كانت السلطة الفرنسية بالمرصاد لها إذ حاربتها بعدة طرق في الداخل والخارج ولم تمنحها الفرصة لتنجح في مهمتها المتمثلة في تدمير قوة فرنسيا داخل إفريقيا الشمالية "[173].

سلوك ثقافي فكري توظفه ألمانيا وتركيا من أجل التحريض على الثورة والتمرد على الاستعمار الفرنسي وتوريط فرنسا في الحرب مع مستعمرتها الجزائرية ، واستنزافها لتضعف عن مواجهة ألمانيا ، وتظهر منهزمة في مواجهة المحتلين قبل مواجهة الجيش الألماني ،فقد كان هتلر نمساويًا من الناطقين بالألمانية، وأثناء إقامته في فيينا كره غير الألمان لأنه اعتبر نفسه ألمانيا، وقد سخر من الحكومة النمساوية التي كانت تعترف بثماني لغات رسمية، وآمن أنه ما من حكومة يمكن أن تبقى في السلطة إذا حاولت معاملة كل الجماعات العرقية بالتساوي، ضمنت أفكار هتلر عدم المساواة بين الأعراق والأمم والأفراد كجزء من نظام طبيعي غير قابل للتغيير يمجد "العرق الآري" كعنصر إبداعي للبشرية وفقًا لهتلر، كانت الوحدة الطبيعية للبشرية هي الفولك ("الشعب")، والتي كان الشعب الألماني أعظمها علاوة على ذلك كان يعتقد أن الدولة موجودة لخدمة فولك – وهي المهمة التي خانتها جمهورية فايمار

---

[172]-نيل هايمان ، **الحرب العالمية الأولى** ، ترجمة حسن عويضة ، مراجعة سامر أبو هواش ، هيئة ابو ضبي للسياحة والثقافة ،كلمة ، ط1 1433هـ – 2012 م ، ص 16 .

[173]- تابتي حياة ، **الحرب العالمية الاولى (1914– 1918) وانعكاساتها على الجزائريين في القطاع** الوهراني ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة وهران – السانيا – 2006، ص 60.

الألماني قام توجهه على "الشوفينية" المبنية على النقاء العرقي، فقسم البشر إلى قسمين رئيسيين: بناة الحضارة ومحطموها واعتبر أن الآريين هم بناة الحضارة، وأصحاب العلوم والفنون والآداب والصناعات والاختراعات، وحذر من التفريط في نقاء هذا الجنس لئلا يفقد خصائصه المميزة، وأعلن قانون المواطنة بـ"الرايخ" وهو قانون حماية الدم الألماني والشرف الألماني وقانون علم الرايخ حيث أقرّت جلسة خاصة للرايخستاغ (مجلس النواب حينها) –بالتزكية– تشريعات تحرم اليهود كمواطنين في الرايخ (الاسم الرسمي لألمانيا في الفترة من 1871-1945) من الحقوق السياسية ومنعتهم من الزواج أو ممارسة الجنس مع أشخاص يعرفون بأنهم العنصريون الألمانيون، وحظرت أي عرض لليهود بالألوان الوطنية أو العلم الوطني الجديد، وهو اللافتة ذات الصليب المعقوف، لم يكن العدو الأكبر للنازية من وجهة نظر هتلر الديمقراطية الليبرالية في ألمانيا، التي كانت بالفعل على وشك الانهيار، بل كانت الماركسية بإصرارها على الأممية والصراع الاقتصادي، وبعيدًا عن الماركسية كان هتلر يعتقد أن أعظم عدو على الإطلاق هو اليهودي الذي كان بالنسبة لهتلر تجسيدًا للشر[174].

انطلق هتلر من ثقافة عنصرية وأفكار إيديولوجية تمقت الجنس غير الآري ولا تراه حقيقاً بالوجود المادي لأنه لا يضيف للحياة شيئاً ولا يخدم المعرفة والابتكار ، وبالتالي يظل تابعاً لألمانيا وليس بإمكانه الانعتاق من ذلك لأنه متأخر بالطبيعة ، وهكذا تشكّل مناخ خاص لهذه المرحلة " فالمناخ الفكري والثقافي والنفسي يساعد على تحقيق بعض الإمكانات الكامنة في الواقع المادي وإجهاض البعض الآخر وعلى تحديد المسار النهائي لهذا الواقع إلى حد كبير ، وتبني ألمانيا النازية لسلاح الإبادة كوسيلة لحل بعض المشاكل التي واجهها المجتمع الألماني لم يكن لينبع من الاعتبارات الاقتصادية أو السياسية وحدها ، فهو أمر مرتبط تماماً بإطار ثقافي وحضاري ونفسي أوسع "[175] يهيئ

---

[174]-ادولف **هتلر زعيم ألمانيا النازية** ، الجزيرة نت ،20 – 08 – 2022 .

[175]-عبد الوهاب المسيري ، **الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ ، رؤية حضارية جديدة** ، ط3 1421 – 2001 م ، دار الشروق ، القاهرة ، ص 25 .

الوعي الاجتماعي للعمل داخل الحيز الثقافي المطلوب والمستهدف من قبل القادة السياسيين والعسكريين ليكتسب شعبية الاختيار ويضمن الدعم المجتمعي .

ويصبح اختياره اختيار الشعب يستجيب له بالطاعة العمياء والتنفيذ السريع لمقرراته السياسية والعسكرية والداخلية والخارجية ، ولا تهم القيم والاخلاق في ذلك فقد كان " النازيون يدركون تمام الإدراك أن نظامهم النازي وممارساته الإبادية إنما هي ثمرة طبيعية للتشكيل الحضاري الغربي الحديث ، وقد بين ألفريد روزنبرج أثناء محاكمته في نومبرج ، هذه العلاقة العضوية بين العنصرية والمشروع الغربي الكولونيالي ،فأشار مثلا إلى أنه تعرف لأول مرة على مصطلح " الإنسان الأعلى " " السوبرمان " في كتاب عن الاستعماري الانجليزي كتشنر، وأن مصطلح " الجنس المتفوق " أو " الجنس السيد " مأخوذ من كتابات العالم الأمريكي الأنتربولوجي ماديسون جرانت " والعالم الفرنسي " لابوج " ، وأن رؤيته العرقية هي نتيجة أربعمائة عام من البحوث العلمية الغربية ، فالنازية كما أكد روزنبرج لمحاكميه – هي جزء من الحضارة الغربية " [176] التي تظهر إنسانية الثقافة في الشكليات والمظاهر والصور وتخفي الوجه النازي المتوحش إذا ما تعلق بالآخر أو غير المنتمي للجنس الآري من القبائل والشعوب الأخرى

تناول كتاب "أزمنة متصدعة: الثقافة والمجتمع في القرن العشرين" : Fractured Times: Culture and Society in the Twentieth Century) ما حدث لفن المجتمع البرجوازي وثقافته بعد أن تلاشى هذا المجتمع إلى غير رجعة بعد عام 1914، وبما أن هوبزباوم قد تحدث عبر مسيرته الطويلة عن التشابك الغريب بين الحقيقة التاريخية والفن، فقد طلب منه معدو مهرجان سالزبورغ السنوي في أواخر القرن الماضي أن يتحدث عن هذا الأمر، فكانت سلسلة محاضرات تشكل بداية هذا الكتاب الذي تم تأليفه بين عامي 1964 و2012.

[176]- عبد الوهاب المسيري ، **الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ ، رؤية حضارية جديدة** ، ط3 1421 – 2001 م ، دار الشروق ، القاهرة ، ص 40.

يقع هذا الكتاب وعنوانه الأصلي: وعنوانه الذي يركز على التاريخ الثقافي لأوروبا، وليس على التاريخ الاقتصادي أو الاجتماعي أو السياسي، يبين الكاتب في القسم الأول "مأزق «الثقافة الرفيعة» اليوم" أنّ أول أسباب هذه الأزمة اعتماد الفنون على الثورة التكنولوجية، ويرجع السبب الثاني للأزمة إلى سيادة الحضارة الاستهلاكية عالم اليوم، التي رُقّي الترفيه تحت ظلها إلى مرتبة الثقافة، وهدم الجدار الفاصل بين الثقافة الرفيعة والحياة اليومية العادية. وبعد استعراض أسباب الأزمة، يستعرض هوبزباوم مظاهرها، ويبدأ بفن الموسيقى؛ إذ يقول إنّ الموسيقى الكلاسيكية الغربية صارت تعتمد على مخزون ميت منذ الحرب العالمية الأولى، فقد انتاب الركود قوالبها الموسيقية ويختم هوبزباوم هذا القسم بنظرة على علاقة الثقافة والفنون بالسياسة والسوق في الوقت الحاضر، ويراها علاقة يحكمها ثلاثة لاعبين: السياسة، والسوق، والإلزام الأخلاقي[177].

وفي القسم الثاني من الكتاب "ثقافة العالم البرجوازي" يحاول المؤلف الإجابة عن سؤال: ما هو السياق الذي تحدث فيه الأزمة؟ ويتوقف الكاتب طويلًا عند وضع اليهود في القرن العشرين، مستعرضًا أثرهم في بقية البشرية منذ بدء تحررهم الذاتي في نهايات القرن الثامن عشر الذي منحهم حياة تليق بالبشر بعد عزلة طالت، فرضتها عليهم السلطات، كما فرضوها هم على أنفسهم. وينتقل بعد ذلك لإلقاء الضوء على عنصر آخر مميز لسياق الأزمة، هو علاقة الثقافة بالنساء. مقدمًا مسحًا لمشكلة العلاقات العامة والخاصة بين الجنسين في الثقافة البرجوازية بين عامي 1870 و1914، ويضرب أمثلة دالّة عليها، مثل كم النساء اللاتي ورد ذكرهن في كتب ونوعهنّ: من هي أو من هو بين الناس؟ كما يستعرض الكاتب المسرح والصحافة كعنصرين من العناصر اللصيقة بالأزمة في الحياة البرجوازية الغربية.

---

[177]- إريك هوبزباوم ، **أزمنة متصدعة: الثقافة والمجتمع في القرن العشرين**، ترجمه سهام عبدالسلام محمّد ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، 07 أكتوبر،2015 ، الموقع الاكتروني

وبعد استعراض الأزمة ومختلف جوانب السياق الذي حدثت فيه، يصحبنا المؤلف في القسم الثالث "مواضع الشك، والعلم، والدين" والمكوّن من مشاهد عدة تجري في مواقع مختلفة، تبيّن كيف أمكن للقرن العشرين أن يواجه انهيار المجتمع البرجوازي التقليدي والقيم التي حافظت على تماسكه. هذه المشاهد منفصلة، لكننا يمكن أن ندرك اتصال بعضها ببعضها الآخر لو تخيلنا أن الانتقال بينها يجري بتقنية القطع بين كل مشهد منها والآخر، لتكون مجموعة المشاهد في النهاية قسمًا متماسكًا ذا معنى. وينتقل المؤلف في هذا الفصل بين النخبة وخوفها على الهوية، والعلم وعلاقته بتغير العالم، والمثقفين، والدين وأثره في السياسة، والثورة الشيوعية وأثرها في الفنون، والديكتاتوريات وعلاقتها بالفنون، ويختتم الفصل بعرض الحركة الطليعية وهي تفشل؛ أمام الآلة، وأمام الاستهلاكية.يختم هوبزباوم كتابه بالقسم الرابع "من الفن إلى الأسطورة" وهو قسم موجز يحاول أن يتلمس فيه كيف هُزمت الفنون، وما الذي حل محل الفنون المهزومة بعد أن جعلها التقدم التكنولوجي زائدة عن الحاجة، منطلقًا من استعراض فنون الجماهير.

نظريات الثقافة :

على طول مسار تطور الفكر الثقافي في المجتمعات الغربية تميزت الرؤى بالاختلاف والتباين والتضاد حول مسألة الثقافة حسب الخلفية الثقافية للمنظرين وقدرتهم على فهم الظاهرة الثقافية وغوصهم في إدراك مكنوناتها وبنيتها ومكوناتها ، واستيعاب تشكلها عبر الزمان والاختلاف ومراعاة الميزات الدينية واللغوية والجغرافية والتاريخية بين المجتمعات التي تصوغ العوائد والتقاليد والاعراف والاخلاق حسب فكرة الثقافة ، ولذلك تعددت النظريات والمقاربات لظاهرة الثقافة ، وهي نظريات تطرد في فهم الثقافة ولا تقف على نمط فكري واحد ، وتتغير بتغير الظروف والأحوال المجتمعية إلى جانب التأثير التكنولوجي الذي فرض ثقافة جديدة باتت تهيمن على المجتمع البشري وتصوغ فكره وخياراته واتجاهاته وتفاعلاته الفردية والجماعية ، بل أصبحت التكنولوجيا هدف استراتيجي يوجه الفعل الثقافي ويؤثر على مخرجاته تاثيرا كبيرا وفيما يلي بعض النظريات التي اقتربت من فهم الثقافة .

النظرية التطورية: Evolutionary Cultural Theory (ECT)

"ظهرت فكرة الانتخاب الثقافي أول ما ظهرت في انجلترا أيام العصر الفكتوري وحققت نجاحاً خلال عملية الانتخاب الثقافي أكبر مما تحقق في أي مجتمع آخر ، كان البيولوجي الفرنسي جان بابست لامارك أول من تحدث عن تطور الأنواع ، إذا اعتقد أن الحيوان الذي اكتسب سمة نافعة له أو قدرة على التعلم يصبح قادراً على نقل هذه السمة إلى ذريته (لامارك 1809) وسميت باسمه ماركية Lamarckism وبعد ذلك بنصف قرن نشر عالم البيولوجيا الإنجليزي شارل داروين كتابه الشهير " أصل الأنواع " والذي رفض فيه هذا الفرض الذي قال به لامارك وقدم داروين نظريته القائلة بأن تطور الأنواع يحدث نتيجة الجمع بين التباين والانتخاب والتكاثر.[178]

تأثرت النظرية بفكرة تطور أصل الأنواع لدارون الذي أثر في المعارف والعلوم وفي التصورات الفردية والاجتماعية ذات الصلة بالإنسان والحياة والكون "تسعى إلى تفسير الأصل الذي يطرأ عليه تغيّر وتحوّل فيما يتعلّق بالثقافات الإنسانية ، فهي نظرية حول تطوّر النَّسل الثقافيcultural phylogeny ، تسعى للإجابة عن تساؤلات، من قبيل: ما هي الآليات الغالبة للتغيّر الثقافيّ؟ وكيف تبدأ الثقافة الجديدة؟ وما هو نمط التشعّب التاريخيّ المعيّن أو المخطط التشعيبيّ للثقافات الإنسانية ؟ ولماذا ظهرت ثقافات كثيرة على مدى مسار التطوّر الإنسانيّ؟ ومن خلال هذه التساؤلات وغيرها من الأطروحات تتناول نظرية الثقافة التطوّرية بُعدًا للتحليل الثقافيّ يتكامل- بصورة ما- مع أشكال أخرى للبحث الأنثروبولوجي[179].

وهي أسئلة تتصل بفكرة التطور ، وتبرهن على تطورية الفعل الثقافي ، الذي ينمو ويتحول ويشهد تغيرات عديدة تستجيب لظروف وملابسات عديدة إذ " التطور في نظر دارون وجد مع جميع الكائنات الحية فخرج بعضها من بعض على طول الأحقاب الجيولوجية ، ومما يزودنا به علم الفلك والجيولوجيا والأحافير ، يقول العلماء

---

[178]- أجنر فوج ، **الانتخاب الطبيعي** ، ترجمة شوقي جلال ، المجلس الاعلى للثقافة ، مصر ،ط1 ، 2005 ، ص 17.

[179]- عبد الرحمن طعمة ، **نظرية التطور الثقافي** ، موقع إثارة الالكتروني ، 12 أغسطس 2021 .

: إن الزمن الذي انقضى منذ انفصال الأرض من السديم الأصلي حتى ظهور الإنسان يتراوح ما بين ثلاثة آلاف وخمسة عشر ألف مليون سنة ، أي أن الفرق في تقدير العلماء في قياس ذلك الزمن يبلغ اثني عشر مليون سنة ، وقد يكون ذلك الزمان أطول مما يقدر له العلماء ، ولكن الملحوظ إنهم إنما يقدرون أقل ما يمكن من الزمن لتتم فيه تلك العملية التطورية العظمى " [180].

وبناء عليه تتطور الثقافة وتتغير باستمرار وتخضع لزمن قد يطول أو يقصر حسب طبيعة المؤثرات الاجتماعية التي تهيء لذلك التغير ، واحتياجات الناس الاجتماعية وتتكامل النظرية التطوّرية الثقافية مع بحوث الانثروبولوجيا الرمزية أو التأويلية، التي تُقارب الثقافة بوصفها نصوصًا خاضعة للتأويل (لمن كُتبت الثقافة؟ وكيف خَضعت للمراجعة والتنقيح عن طريق الاقتباس والانتشار؟). كما تتكامل مع بحوث الاقتصاد السياسيّ، التي تعدّ الثقافاتِ حقائبَ أدواتٍ تصوّريةً هدفُها تحقيق مصلحة ومنفعة سياسية ،ومن خلال كلّ ذلك، تتبنّى هذه النظرية مسألة التراكمية الثقافية، وهي فكرة دعمتها وشرحتها نظرية الشّعاب المرجانيةcoral reefs ، التي صاغها الأنثروبولوجيّ ‘‘ألفريد كروبيرKroeber ’’ إذ قرّر أنّ طبيعة الثقافة يُحدّها بقوة ماضيها التراكميّ، ولذلك فإنّ الأسلوب التاريخيّ هو الأنسب– كما يرى– لفهم الثقافة والأنماط الثقافية، مُؤكدًا عنصر التغيّر عبر الزمن، آخذًا في الحسبان الروافد (الأسلاف) للأنماط الثقافية الجديدة، وأهمية فهم الظواهر الثقافية في إطار تشكيلاتها الخاصة، إلى آخر ما قدّم وحلّل ومَثّل، لبيان تلك المقاربة الفكرية المهمة في نظرية التطوّر الثقافيّ.[181]

فالتاريخ يتيح للثقافة التطور الهادئ والنمو المتدرج لقاء الاحتكاك والتفاعل الحيوي مع المواقف المستجدة والطارئة على حياة الناس ، ففي السلم تنمو الثقافة باطراد وتتجلى في لغة الناس وعوائدهم في المأكل والمشرب والمنكح والعلاقات الاجتماعية المختلفة ، وأيضاً في صلاتهم بدينهم ومعتقداتهم ، وتتأثر بذلك الفنون والمسرح

---

[180]- تشارلز دارون ، **أصل الأنواع** ، ترجمة إسماعيل مظهر ،مؤسسة هنداوي – المملكة المتحدة - 2017 ، ص 49.

[181]- عبد الرحمن طعمة ، **نظرية التطور الثقافي** ، موقع إثارة الالكتروني ، 12 أغسطس 2021 .

والدراما ومختلف التعابير التي تترجم اهتمامات الناس بالثقافة فكراً وفناً وإرادة أيضاً في التغيير ، وفي الحرب تتأثر الثقافة تأثراً سلبياً، وبدلا من حصول التطور والنماء تتخلف وتتأخر ، فالمحتل يريد سلب الثقافة والعدوان عليها واستبدالها بثقافته التي ينتمي إليها .

في كتاب "الإبادة الثقافية" لمؤلفه لورنس دافيدسون يناقش في البداية الأسس النظرية، ثم الإبادة الثقافية والهنود الأميركيين، ثم روسيا واليهود في القرن التاسع عشر، ثم إسرائيل والفلسطينيين والإبادة الثقافية.. فالإنجليز وأقرانهم من أوروبا يمتلكون أسلحة ومعدات وآلات تنقيب بدائية بالنسبة لما وصلت له الحضارة الغربية الآن من تكنولوجيا، فيما كانت الحياة بالنسبة للسكان الأصليين "الباواتان" بدائية من الجوانب كافة، تقوم على توفير الطعام ومكان النوم وحسب دون التطرق لما هو أكثر من ذلك، لذا ظهر خيار الإبادة الدموية مطروحا بقوة أمام الاستعمار الإنجليزي، لكن تبيّن فيما بعد أنه خيار خاطئ. لم تدم حالة الاعتماد المتبادلة بين الطرفين طويلا فالمستعمرون بحاجة إلى الطعام وإلى طريقة فعالة تنجيهم من الأمراض المنتشرة في المستعمرات مثل الإسقربوط والسكان الأصليون بحاجة إلى الأدوات المعدنية التي يملكها المستعمرون، وكان قرار المستعمرين آنذاك أنه لا وجود لحل يجمع الطرفين في مكان واحد، خاصة بعد الهجمات التي قام بها السكان الأصليون لطرد الإنجليز، فاتخذوا القرار العسكري، وبدأت الهجمات الدموية على السكان الأصليين والتي تحوّلت إلى أول حرب بينهم عام 1622 وقامت فيها قوات الإنجليز بتدمير المحاصيل الزراعية لتجويع الهنود ومحاصرتهم، مما دفع الطرفين للدخول في مفاوضات انتهت بمقتل العدد الأكبر من قادة الهنود بالسم الموضوع في شرابهم من قِبل الإنجليز.[182]

فالقرار العسكري ينهي الخيار الثقافي ولا يعترف به ، ولا يسمح له بالوجود فضلا عن التطور والاستمرار ذلك أن التعايش معه يولد حالة الاختناق والضيق وينتج النزاع المسلح الذي يقضي على إمكانيات التطور الثقافي ويمحق أي بادرة لتطور عادة أو تقليد أو رمز ، لأن المستدمر يفضل ثقافته ويحتقر أي ثقافة تتميز عن ثقافته أو

[182]- محمد إسلام ، **الإبادة الثقافية.. كيف تمحو أمة كاملة قبل إطلاق رصاصة واحدة؟** 31- 10- 2020 ، الجزيرة نت .

يراها لا تنسجم وخياراته واتجاهاته ، فيفكر في منطق الإبادة والخلاص منها ، فيعتدي على الذات الإنسانية المنتجة يقول : مايكل هولي إيجل، من نشطاء الهنود الحمر " وأول ما يفعله المنتصر هو محو تاريخ المهزومين ويا الله، ما أغزر دموعهم فوق دماء ضحاياهم، وما أسهل أن يسرقوا وجودهم من ضمير الأرض! هذه واحدة من الإبادات الكثيرة التي واجهناها وسيواجهها الفلسطينيون كذلك.. إن جلّادنا المقدّس واحد"[183] الذي يبيد ويقضي على ثقافة المستضعف ، ليحل بدله ويتملك الأرض التي وجده يعيش فيها ، ويحيله إلى أشلاء ممزقة وجثث ميتة لا يليق أن تسكن معه، والإنجليز "هم أكثر القوى الاستعمارية الأوروبية ممارسة للإبادات الجماعية فهدفهم في العالم الجديد كأستراليا ونيوزيلاندا وكثير من المناطق التي يجتاحونها هو إفراغ الأرض من أهلها وتملّكها ووضع اليد على ثرواتها"[184] .

فلم يتوقف الاحتلال عند احتلال التاريخ فقط، بل طال احتلال الثقافة أيضا، فحتى هذه اللحظة يصور الغرب الهنود الحمر في مختلف وسائل الإعلام في صورة ساذجة لا تختلف عن صورتهم التي رسمها الأوروبيون لهم منذ خمسة قرون مضت، ليتم التغاضي عن مذابح الهنود في المناهج والإعلام الأميركي، في مقابل استمرار نزع إنسانية الهنود الحمر عند الجماهير الغربية" [185]، وهذا تحيز واضح في التناول الثقافي وتغطية للحقيقة الثقافية التي تظهر ما يجب إظهاره وتخفي ما يجب إخفاؤه على الناس لئلا تظهر الحقيقة ويتعرف الناس على تاريخهم الأسود في النيل من إنسانية الإنسان وذبحه وإعدام حياته الثقافية وتجريده من كل معنى ثقافي يتصل به ويتخذه هوية له ، لتبرز ثقافة المحتل المتغلب دون غيرها وتظهر للرأي العالمي أنها تتضمن السيادة المشوهة على الثقافات الأخرى .

وعلى الرغم من أن النظريات الأنتربولوجية في تطور الثقافة نالت دعماً قوياً بنشر " أصل الانواع " لدارون فيتحتم علينا أن نعرف أن مفاهيم التطور الثقافي التي هيمنت على التفكير الأنتربولوجي في القرن التاسع عشر لم

---

[183]-إبراهيم السيد ، **ديمقراطية الدماء.. كيف تأسست أميركا على أشلاء السكان الأصليين؟** الجزيرة نت ، 2018/5/12.

[184]- إبراهيم السيد ، **ديمقراطية الدماء.. كيف تأسست أميركا على أشلاء السكان الأصليين؟** الجزيرة نت ، 2018/5/12.

[185]- إبراهيم السيد ، إبراهيم السيد ، **ديمقراطية الدماء.. كيف تأسست أميركا على أشلاء السكان الأصليين؟** الجزيرة نت ، 2018/5/12.

تكن نتيجة مباشرة للآراء الداروينية ، فقد كان فلاسفة التنوير لا سيما توركو وكوندرسية المصادر الرئيسة لكثير من الآراء التي كونت نظرية التطور الثقافي وقد اعتقدوا أن تاريخ البشر يمكن أن يوصف بالارتقاء من البدايات البسيطة إلى حضارتنا المعقدة وأوضحوا مراحل مفترضة ارتقت خلالها الثقافة البشرية بدءا بالخليقة والهبوط والطوفان ، يلي ذلك تنظيم الإنسان في مجموعات صغيرة من الصيادين وجامعي القوت ثم التطور الرعوي واختراع الزراعة وفكرة الملكية الخاصة ، ونمو القرى وتقسيم العمل ومن ثم إلى الحضارة الحديثة [186] وتطورت إلى ما هي عليه الآن ، فليست خاملة أو راكدة في حدودها ومجالاتها ولكنها تتغير وتتطور باستمرار ، لذلك تصنف الحقب الثقافية حسب تطور المجتمع ، ويعتني علماء الأنتربولوجيا التطوريون بذلك عناية خاصة .

ويعد لويس هنري مورغان Louis Morgan((1818- 1881) مؤسس الأنتربولوجيا الأمريكية ، اهتم بدراسة مجموعات من الهنود الحمر ولا سيما قبائل أوركويس في أمريكا الشمالية واكتشف بعض الاصطلاحات الغريبة المستعملة في الإشارة إلى القرابة ، وكان يؤمن بارتقاء الإنسان نحو الأفضل "[187]ولم يكن أنتربولوجياً في بداية حياته ، بل كان محامياً مهتماً بالهنود وكان واسع الثراء مما سمح له بالتوقف عن العمل والترحال بين القبائل الهندية في شمال أمريكا ، اكتشف أن الكثير من القبائل الهندية التي تتكلم لغات مختلفة لها نفس النظام القرابي ، وأن النظام القرابي لعصبة الإيركوا مثلا كان مستقلا عن اللغة التي يتحدثونها ، ووجد أن الكثير من المجموعات البشرية المختلفة تستخدم نفس نمط المصطلحات من اجل الإشارة إلى الأب ، العم ، الاخ ..الخ واليوم فإن جرد الانظمة القرابية التي توجد في العالم اظهر انه توجد سبعة أنماط كبرى للأنظمة القرابية فقط ، فمثلا نظام القرابة في اوربا

---

[186]-بيرتي ج بيلتو ، **دراسة الانتربولوجيا المفهوم والتاريخ** ، ترجمة كاظم سعد الدين ، سلسلة عالم الحكمة ، بيت الحكمة العراقي ، 2010، العدد 24، ص 43

[187]- بيرتي ج بيلتو ، **دراسة الانتربولوجيا المفهوم والتاريخ** ، ترجمة كاظم سعد الدين ، سلسلة عالم الحكمة ، بيت الحكمة العراقي ، 2010، العدد 24.

يدخل ضمنه النظام الذي يطلقه عليه الأنتربولوجيون اسم " نمط الإسكيمو "[188] . ويعده جاء تايلور E.Tylor(1832 – 1917) صنو مورغان الانجليزي ، ولم يكن يحمل شهادة جامعية ، بيد انه كان اول انتربولوجي في انجلترا وعين أول استاذ للانتربولوجيا في اكسفورد في 1896 ، وكان يؤمن بتطور الإنسان من الهمجية إلى الحضارة ، ومن العلماء في القرن التاسع عشر جون لوبك ، وهنري مين ، وجيمس فريزر في انجلترا وج ج ياكوفت في سويسرا وادولف باستيان في ألمانيا مؤسس المتحف الأنتربولوجي في برلين والعضو المشارك في تأسيس جمعية الأنتربولوجيا والإثنولوجيا وما قبل التاريخ في برلين أيضاً.[189]

ويرى أن " أساليب حياة الشعوب وتنوعها وتغيرها يشكل ظاهرة جديرة بالدراسة في حد ذاتها ، وأن علمًا جديدً يجب أن ينشأ ليقوم بهذه المهمة ، وقد سماها " الثقافة أو الحضارة " متأثراً بالفكر التطوري الذي انتشر في دوائر العلوم الطبيعية والاجتماعية على حد سواء [190] ومن أبرز الذين تحدثوا في هذه النظريات آن روبرت جاك 1717 –1781 حيث طورت نظرة شاملة عن التطور الثقافي من منطلق التركيز على نموذج التدرج الثقافي، وترى هذه النظرية أن عقل الإنسان في كل مكان يستطيع الاختراع وتحقيق الإنجازات الثقافية، ولكن الطبيعة تهيئ للبعض الظروف المناسبة دون البعض الآخر وهذا التنوع في الظروف الطبيعية أدى إلى تفاوت المستويات الاقتصادية بين الشعوب المختلفة[191]وتمايز الانتاج العلمي وتفوق بعض الشعوب عن الشعوب الأخرى .

ويمكن إجمال آراء التطوريين في تفسيرهم للثقافة في مجموعة مبادئ أهمها:

---

[188]– موريس قودلييه ، **ميدان وادوات الانتربولوجي** ، ترجمة مبروك طقوقة ، بدون تاريخ ، مجلة انتربولوجيا ، جامعة تبسة ، الجزائر العدد الرابع ، ص 163.

[189]-بيرتي ج بيلتو ، **دراسة الانتربولوجيا المفهوم والتاريخ** ، ترجمة كاظم سعد الدين ، سلسلة عالم الحكمة ، بيت الحكمة العراقي ، 2010، العدد 24.

[190]-حسين فهيم ، **قصة الانتربولوجيا** ، **فصول في تاريخ علم الإنسان** ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،الكويت ، فبراير 1986 ، ص 9.

[191]- يحي مرسي، **أصول علم الانسان**، ص 362.

-أن هناك قوانين كلية تحكم الثقافة الإنسانية وأنها تمر بمراحل تطور حتمية متمايزة وثقافة أي مجتمع تتطور في طريق واحد خلال مراحل محددة.

-التسليم بظاهرة التغير الثقافي ورده اختلاف المراحل التطورية للثقافات الإنسانية، أي أن الثبات والتغير سمة أساسية تميز الثقافات المختلفة.

-أن اكتساب السمات الثقافية أو توا رثها يعتمد على القدرات العقلية للإنسان وهذا يرتبط بوحدة التكوين الفسيولوجي للإنسان.إن عناصر الثقافة ومكوناتها قابلة للاستعارة والانتقال من ثقافة لأخرى.

-إن عوامل التغير الثقافي تنمو ذاتيا وتظهر مع ظهور المرحلة التطورية بغض النظر عن الزمان والمكان.

-إن الثقافات تتطور ذاتيا وتنتقل من مرحلة لأخرى لمجرد ظهور العوامل والشروط الكافية لظهور هذه المرحلة. الإيمان بالوحدة السيكولوجية للجنس البشري .

نقد النظرية التطورية : Criticism of evolutionary theory

أخذت الشكوك تراود بعض الأنتربولوجيين عند اقتراب القرن التاسع عشر من نهايته بشأن نظريات مورغان وتيلور عن التطور الثقافي ، فقد ارتاب هؤلاء الأنتربولوجيون المناهضون للتطور بمرور جميع المجتمعات البشرية بالمراحل نفسها ، وقد أنكروا أن يمثل تاريخ البشرية التقدم دائماً وعرضوا أن فكرة تاريخ الثقافة البشرية يفهم أفضل فهم نتيجة للانتشار المعقد للعناصر الثقافية بين المجتمعات البشرية "[192] فبعضها تتهيأ لها الظروف التاريخية المناسبة فتتطور ثقافتها وتنمو الأشكال والصور والتعابير المصاحبة لها ، وبعضها الآخر لا تتمكن من ذلك بسبب الظروف الجغرافية أو بسبب الاحتلال الذي لا يقبل بنمو ثقافة المستعمر .

[192]- بيرتي ج بيلتو ، **دراسة الانتربولوجيا المفهوم والتاريخ** ، ترجمة كاظم سعد الدين ، سلسلة عالم الحكمة ، بيت الحكمة العراقي ، 2010، العدد 24، ص 42.

وكان أكثر مناهضي التطور تطرفاً الانكليزيين وج . بيري زغرافتون اليوت سمث اللذين ادعيا أن التطور الثقافي جميعاً قد حصل عملياً في مكان واحد هو مصر وانتشر منها إلى جميع أنحاء العالم ، ووضحا أن علم المعادن والزراعة والعمارة والمجتمع المعقد والممارسات الدينية والمكتسبات الثقافية لدى حضارات المايا والازتك والانكا مثلا هي ابتكارات مستعارة من مركز الاشياء كلها –مصر [193]فلم يحدث التطور الثقافي الذاتي في المجتمعات القريبة أو البعيدة من مصر ، وإنما كانت صدى للمجتمع المصري فقط ، فالتطور أو مصدر الخبرة في المعادن والزراعة وغيرها انطلق من مصر وليس من المجتمعات الأخرى ، وهذا لا يتوافق من النظر التطوري الذي يرد التطور إلى المجتمع ذاته الذي ينمي خبراته ومكتسباته .

وقدكُتبت مئات الأوراق العلمية والكتب في نقد النظرية، "صندوق داروين الأسود" لمايكل بيهي، و"التطور نظرية علمية أم أيديولوجيا" ليلماز عرفان، و"التطور لا تزال نظرية في أزمة" لمايكل دانتون، وغيرهم من عشرات الكتب المترجمة ومئات الكتب والأبحاث غير المترجمة، ويستعرض موقع مؤسسة "ديسكفري" (Discovery) وحده أكثر من 100 ورقة علمية محكمة منشورة في مجلات علمية موثوقة كلها تتفق على فكرة واحدة: لا يمكن للنظرية الداروينية العمياء أن تفسر الوظائف الحيوية للكائنات الحية، وإنما لا بد من وجود "سبب ذكي" لظهور هذه الكائنات.[194] وهذه خلفية علمية مهمة يستند إليها المنظرون في الثقافة الذين ينقدون نظرية التطور الثقافي ولا يقبلون بها كمصدر معرفي في تفسير الظاهرة الثقافية.

و أكد العالم الأنثروبولوجي هوايت في كتابه الذي يحمل عنوان "علم الثقافة" على أنّ النظرية التطورية لا تقتصر على تحديد مراحل للتسلسل والنمو الثقافي، بل لا بد من تحديد العوامل التي تُساهم في هذا التطور، ممّا يعني أنّ هذه الدراسات تشمل جانب التمرحل الذي يُركز على التاريخية، وتشمل الجانب السببي، الذي يدرس

---

[193]- بيرتي ج بيلتو ، **دراسة الانتربولوجيا المفهوم والتاريخ** ، ترجمة كاظم سعد الدين ، سلسلة عالم الحكمة ، بيت الحكمة العراقي ، 2010، العدد 24، ص 42.

[194]- إبراهيم السيد ، **علم أم خرافة؟.. هذه قائمة بخمسة كتب تنقض نظرية التطور**، 6- 01 – 2019، الجزيرة نت .

العوامل المختلفة التي تُساهم فيه[195]، وفهم العوامل في تشكل الثقافة يوسع النظر في تحليل الظاهرة الأخلاقية وقراءتها قراءة فلسفية أعمق من الاقتصار على إدراك تطورها ونمائها عبر المراحل التاريخية المختلفة .

النظرية الانتشارية:Diffusionism theory

نشأت كرد فعل ضد النظرية التطورية وتمتد جذورها إلى مفكرين سابقين على القرن التاسع عشر ، يقول نيوتن " إن مصر تمثل مركز الانتشار الحضاري الرئيس في العالم ، ويشاركه لورد مونتبودو في هذا الرأي ، بينما افترض الألماني هيردر أن آسيا وليس مصر هي مركز انتشار الحضارة الإنسانية ، وبالرغم من وجود هذا الاتجاه الانتشاري في الساحة الفكرية خاصة العقود الثلاثة الأخيرة من القرن التاسع عشر ، إلا أنه لم تتبلور عنه الكتابة ، ولم يحظ بالتأييد بسبب سيطرة انتشار الفكر التطوري في تلك الفترة ، ومع ذلك فقد بدأ بعض التطوريين أنفسهم في أواخر القرن الماضي (التاسع عشر) بمراجعة مواقفهم ، والأخذ بفكرة الانتشار الحضاري ، مثلما فعل البريطاني وليم ريفرز W .Rivers في أواخر حياته [196].فالانتشار يدلل على مرونة الثقافة وقدرة المراكز الحضارية الكبرى في العالم على تصدير ثقافاتها إلى المناطق المختلفة في العالم ، ورغم الاختلاف في تحديد المركز الثقافي الاول إلا أن مصر من المراكز الحضارية ذات التأثير في الدول الأخرى .

وتعني " انتقال نموذج أو نظام ثقافي من مجتمع لآخر ، وذلك بأن يستعير مجتمع من مجتمع لآخر بعض نماذجه او نظمه او الادوات التي يستخدمها في حياته ، وتسمى تلك العملية عند علماء الاجتماع والإنسان باسم التثقيف او التكيف الثقافي Accultration، وقد يأخذ مجتمع ما بعض نماذج مجتمع آخر كما هي بلا تحوير أو تغيير ، وقد يجري فيها تعديلات تلائم نظمه وحياته [197]ويعرفه رالف لينتون " بأنه انتشار عنصر ثقافي من

---

[195]-فرح عبد الغني ، **نقد الاتجاه التطوري في الانتربولوجيا** ، 7 ديسمبر 2022 ، موقع موضوع الالكتروني .

[196]- حسين فهيم ، **قصة الانتربولوجيا** ، **فصول في تاريخ علم الإنسان** ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،الكويت ، فبراير 1986 ، ص 110.

[197]-حسن شحاته سعفان ،**علم الانسان – الانتربولوجيا** –منشورات مكتبة العرفان – بيروت – ص 138.

جماعة أو مجتمع إلى جماعة أو مجتمع آخر "[198] وتتلاءم مع ظروفه الحضارية والمجتمعية وتستجيب لحاجاته الإنمائية والثقافية ، لأن المجتمع لا يحصّل كل الإمكانات لتطوره وتقدمه في مرحلة أولى ، فيضطر إلى جلبها من حضارة أخرى ، ويبني عليها ويطورها ويضيف عليها حتى تغدو جزءاً لا يتجزأ من ثقافته ، وتصبح فكرة الانتشار معطى ثقافي عالمي تلجأ إليه كل الثقافات صغيرة كانت أو كبيرة .

ويعد كتاب " علم الشعوب " للجغرافي الألماني فريدريك راتزل 1844- 1904 الذي وضع فيه بدايات فكرة الانتشار الثقافي التي تبلورت مع بدايات القرن العشرين كبديل لنظرية التطورية الثقافية "[199] ،خلفيته الجغرافية مكنته من إدراك فكرة الانتشار الثقافي ، فالجغرافيا تسنده في النظر الثقافي الذي يحدد المراكز التي ينتشر منها الإمداد الثقافي في أنحاء العالم ، وتشكل بؤرة لصناعة المظاهر الثقافية المختلفة، وكتب راتزل في أواخر القرن الماضي متأثرًا بالجو العلمي العام المشحون بكل ثقل النظرية التطورية في العلوم الطبيعية، ولهذا نراه ينظر إلى الجغرافيا السياسية على أنها فرع من فروع العلوم الطبيعية، ونراه يؤسس فكرة المكان على أنها عنصر مؤثر ومتأثر في ذات الوقت بالصفات السياسية للجماعة أو الجماعات التي تسكن المكان، وأما الموقع فإنه يراه العنصر الذي يلون المكان بصبغة تجعله دائم الاختلاف عن غيره من الأماكن، ومن ثم يصبغ الدولة بصبغة مغايرة لغيرها من الدول[200].

نشأت نظرية الانتشار الثقافي عام 1940 على يد "ألفريد كروبر" الذي يعتبر أول باحث استخدم مفهوم الانتشار الثقافي وقد أورده في كتابه "انتشار المثيرات"، وتتناول نظرية كروبر فكرة انتشار الثقافات والعادات والتقاليد واللغات والأديان بين الدول والحضارات المختلفة فيما يعرف باسم الانتشار الثقافي.[201]فالثقافة تنتشر

---

[198]- عمر قبايلي ، **المنطلقات النظرية لظاهرتي التثاقف والانتشار الثقافي ،مقاربات انتربولوجية لأهم المدارس الشارحة** ، مجلة الآداب ، العدد 15 جوان 2009 ،

[199]- حسين فهيم ، المرجع ذاته ، 110.

[200]- عماد هاشم ، **جدلية الجغرافيا والسياسة... بين راتزل ولابلاش وأنطون سعادة وجمال حمدان** ، 17 جوان 2019، موقع /Aleph Lam

[201]-احمد مجدي ، **نظرية الانتشار الثقافي لكروبر** ، موقع مكتبتك الالكتروني – النظريات العلمية – 14-11- 2018 .

باستمرار بين الدول والحضارات المختلفة ، ولا تبقى حبيسة المنشأ ، وذلك عن طريق التنقل والهجرات والأسفار والرحلات والاحتلال ، والتبادل التجاري والعلمي بين المجتمعات الإنسانية ، فأي جماعة تنتقل وتسافر إلى حضارة اخرى إلا وتأتي بعوائد تلك المنطقة وتقاليدها وأعرافها وحتى لغاتها ولهجاتها ، وباستمرار حركة السفر والرحلة والهجرة تتوطد ثقافة تلك الحضارة وتصبح جزءاً لا يتجزأ من الحضارة التي نشأ عليها الإنسان أول مرة .

" والمدرسة الانتشارية لا تدرس الثقافات باعتبارها نماذج ممثلة لمراحل متعاقبة عبر الزمن ، بل هي ترفض اعتبار البشرية بمثابة الكائن الذي ينمو كما تنمو الخلايا المغلقة والمنطوية على ذاتها ، بحيث تتطور كل منها على حدة مع تقدم الاختراعات (اطروحة مورغان) ، إذ ترى الانتشارية أن هذه الاختراعات فضلا عن العناصر الثقافية ، تنتشر من مجتمعات إلى أخرى مجاورة لها إما بفعل الهجرات وإما بفعل الحروب [202] ولا علاقة لها بالتطور والارتقاء الذي ينتهي إلى أشكال وتطورات تختلف عن التكوينات الأولى التي تتمظهر في أشكال بسيطة ، فالثقافة إذن حسب رأي الانتشاريين تنتقل من موطن لآخر ، وحال انتقالها تنتشر وتأخذ مجرى التكون والتشكل والتأثرفي مواطنها .

وفي إطار المدرسية الانتشارية توجد ثلاث مدارس رئيسية هي المدرسة البريطانية وتمثلها إليوت سميث (1871-1937) ووليم ج. بيري (1887-1949) وترى أن هناك مركزا رئيسيا للحضارة هو مصر التي عرفت الزراعة وبناء الأهرامات وعبادة الشمس ومنها انتقلت هذه الثقافة إلى الكثير من أنحاء العالم، وهناك المدرسة النمساوية ويتزعمها **جروبينر و شميدت** حيث ترى وجود دوائر ثقافية أو بؤرا ومراكز حضارية متعددة وليس مركزا حضاريا واحدا وهذه الدوائر تشترك في سمات ثقافية واحدة، وتشتد أو تزداد كثافة هذه السمات كلما كانت أقرب إلى المركز وهناك المدرسة الأمريكية، ويمثلها كلارك **ويسلر و كروبير وكلاكهون** تؤيد هذه المدرسة فكرة أن الملامح

[202]- جاك لومبار ، **مدخل إلى الإثنولوجيا** ، ترجمة حسن قبيسي ، المركزالثقافي العربي، ط1 ، 1997،الدار البيضاء ، المغرب ، ص 124.

المميزة لثقافة ما وجدت أولا في مركز ثقافي جغرافي محدد ثم انتقلت إلى مناطق أخرى وإن كانت هذه المدرسة ترى إمكانية التطور المتوازي المستقل وأن الناس مبتكرين بطبعهم[203] .

" وقدتوسّع ليو فروبانيوس (1873-1938) في الحديث عن الدوائر الثقافيّة وهو ما سمح بصياغة فرضيّة التأثيرات المتوسّطيّة في الحضارات الأفريقيّة وتصنيفها ضمن ثقافات مختلفة.. وغير بعيد عن ذلك ما ذهب إليه عدد من الأنثروبولوجيّين الأنجليز أمثال إليوت سميث (1871-1937) ووليم ج. بيري (1887–1949) من تصوّر يقضي بكون الثقافات ظهرت دفعة واحدة في مصر ثمّ انتشرت في مختلف القارات.وقد وجدت هذه النظريّة صدى في الولايات المتّحدة الأمريكيّة لدى كلّ من فرانز بواس وكلارك فيسلر وإدوار سابير.. ممّن استخدم الأطروحات الانتشاريّة مع أخذ مسافة منها.

وعموما يمكن تلخيص أراء النظرية الاستشارية في مجموعة أفكار أساسية فهي تعتقد نشأتها شأن التطورية بالمساواة بين البشر و بالتفاوت بين الثقافات إذ نجد في أنحاء العالم بؤرا ثقافية متقدمة على غيرها لكنها بالمقابل لا تعرب على الثقة نفسها بعبقرية الإنسان و بقدرته على التقدم الدائم عن طريق الاختراعات، فالانتشارية ترى أن نمو الثقافات تم أكثر ما تم عن طريق الأخذ والتقليد وذلك بفعل الاحتكاكات الثقافية بين الشعوب وهي احتكاكات أكثر بكثير مما يظنه التطوريون ، فانتشار النظم الاجتماعية وتقسيم العمل، وتنظيمه تم نقله من منطقة إلى أخرى عن طريق الوسائل المختلفة لنقل الثقافة ، كالحروب ، والتجارة، والهجرات المختلفة التي عرفتها البشرية، ولا مجال لعنصر الابتكار الاختراع في نظر الانتشاريين.

نقد النظرية الانتشارية : اعتمدت المدرسة الانتشارية على ما يقول ج . بواريه " النياسة العامة " على مسلمات " فالمسألة الجغرافية لا أهمية لها بالنسبة للانتشار ، مهما كانت كبيرة " ونادراً ما تنظر الانتشارية إلى الإنسان باعتباره خلاقاً ومبدعاً ، فيتلخص تاريخ البشرية ، والحالة هذه بسلسلة من الاستعارات الثقافية انطلاقاً

[203]- جاك لومبار، **مدخل إلى الايثنولوجيا** ، ص 74.

من بؤر معينة تولت بث الحضارة ونشرها [204]، فالإنسان بنظرهم لا يبدع ولا ينتج جديداً لثقافته وينتظر فقط ما يلحقه من المراكز الحضارية أو يأتيه من العبقرية المركزية التي تعمل بدله ، وهذا ما لا يثبته الدرس التاريخي الذي يفيد أن الإنسان مهما كان بعده عن المراكز الثقافية يحاول الانتاج والإنجاز والتفاعل مع متطلبات بيئته وتقديم الإضافة إلى محيطه الثقافي ، دون ان يعني هذا زهده في الاحتكاك الثقافي وانتفاعه بالخبرة الحضارية التي تأتية من المركز ، لقد شاعت هذه الأفكار واستمرت وقتاً طويلا في ألمانيا ، ثم في إنكلترا أكثر من استمرارها وشيوعها في أمريكا ، وقد دأبت ألمانيا بشكل خاص على التوسع بالنظريات الانتشارية بسبب الدور الذي اضطلعت به بعض المؤسسات كمعهد انتريوس التي شكلت امتداداً لأفكار غرابنر وخاصة لأفكار الأب قلهلم شميث(1868-1954) الذي أنشأ مدرسة فيينة هو وتلامذته ، وكان شميث أمينًا لأفكار مدرسة " الدائرة الثقافية "[205].

-بينت اكتشافات فنية وأثرية أن هناك بؤراً حضارية في إفريقيا كانت قد ابتدعت ثقافتها الخاصة على نحو ما تشهد الأعمال الفنية في بينين ، وهي أعمال مستقله عن كل أنواع التأثيرات " بمعنى أن الإنسان الإفريقي كان يتفاعل مع بيئته ويفكر في التعبير عنها برموز مختلفة كثيراً عن حضارات المركز ، فانطلق من ذاتيته الحضارية في الإنتاج والإبداع ، و" إن زمن ما قبل التاريخ la Pré histoire يكشف لنا في إفريقيا عن وجود مناجم معدنية تشهد على وجود إنسان قديم جدا في تلك المقاطعات ، وأخيراً وبعد زمن طويل ظهرت لنا فنون الآثار القديمة عند السود ، وإنه بفضل جهود الباحثين فسنعرف في يوم من الأيام إلى أي حد تكون فيه العزلة الجغرافية الموصوفة مطابقة للحقيقة التاريخية في القارة السوداء "[206] فالسود تركوا آثاراً فنية عبرت عن إبداعهم وقدرتهم على تخليد مآثرهم عكس ما يزعمه الغربيون الذي يسوقون فكرة التوحش والبربرية عنهم وانهم هم فقط من قدموا للحضارة الإنسانية .

---

[204]- جاك لومبار، **مدخل إلى الايثنولوجيا** ، ص 129 .

[205]- جاك لومبار، **مدخل إلى الايثنولوجيا** ، ص 129

[206]- دونيس يولم ، **الحضارات الإفريقية** ، ترجمة : علي شاهين ، منشورات دار مكتبة الحياة ، 1974 ، ص 10.

النظرية الوظيفية:

تعتبر المدرسة الوظيفية من أهم المدارس التي تهتم بموضوع الثقافة بل هي مدرسة رائدة في هذا المجال من خلال أعمال روادها وتلامذتهم فنجد مثلا مالينوفسكي(1884- 1942) طور تحليله في إطار المدرسة الوظيفية " التي فهمت بشكل عريض على أساس مفهوم : أن كل أجزاء الثقافة المحلية تقوم بأدوار في كل الأطراف الأخرى فيها وأن كل ثقافة محلية كانت تشكل آلية متداخلة ومركبة ، حيث إن " الإنسان " باعتباره كائناً حياً قادر على التكيف مع بيئته الطبيعية الخارجية وبيئته الجماعية ، وهذه الفرضيات معروفة ، وبمعنى مما لا يمكن تجنبه من أي شخص قام منذ ذلك الوقت بدراسة ميدانية مكثفة ،وهي تمثل اكتشافاً يؤكد أن كل التفصيلات الثقافية التي قد ترى للوهلة الأولى على أنها اعتباطية ولا معنى لها ، إنما هي بالفعل تحمل معنى في ما يخص كل الممارسات الأخرى للسكان المحليين وكطريقة لبقاء السكان في بيئتهم المحلية " [207].

حيث أكد رواد هذه المدرسة أنه إذا عرفنا وظيفة النظام فإننا نستطيع تفسيره وفهمه ولذلك فإن الوظيفة تستخدم للإشارة إلى الحاجات الأساسية أو الاحتياجات التي ينبغي إشباعها حتى تستمر الجماعة في الوجود نستطيع من خلال الوظيفة إدراك أن النظم تقام وتؤسس كأنماط سلوك تتواءم مع معايير وقيم محددة، وبهذا المعنى نجد أن النظم لا تشمل فقط المعدات الفنية المستخدمة في المجتمع من أجل حياته اليومية بل وأيضا كل الأفكار الروحية التي تميز أخلاقيته ودينه وقوانينه التي تستطيع من خلالها تنظيم فكره وسلوكه [208].فهذه العناصر متصلة بعضها بالبعض الآخر ، ولا يمكن البتة فصل بعضها عن البعض الآخر ، فهي تغذي وتؤثر وتحتاج وتستند في تمثل الأدوار المجتمعية المختلفة .

---

[207]-فريدريك بارث ، اندريه غينغريتش ، روبرت باركن ، سيدل سيلفرمان ، **الانتربولوجيا حقل علمي واحد وأربع مدارس** ، ترجمة : ابوبكر احمد باقادر ، إيمان الوكيلي ، مكتبة الفكر الجديد 2017 ، ص 44 .

[208]- يحي مرسي ، **أصول علم الانسان** ،ص53

وقد أوضح مالينوفسكي في مقال كتبه عن الثقافة أن الثقافة تعتبر وحدة كلية من الممكن تحليلها إلى الأجزاء والنظم المكونة لها، وأخذ العلاقات المتبادلة بين هذه الأجزاء، مع عدم إغفال علاقة ذلك بحاجات الكائن البشري والبيئة والطبيعة، وتلك التي من صنع الإنسان، ويرى مالينوفسكي أن المجتمع ينبغي دراسته كما هو عليه في الوقت الحاضر ومن جميع جوانبه وبناء على المؤسسات التي تكفل بقائه على قيد الحياة والتي هي مؤسسات متبادلة التبعية فهو يستبعد كل الطروحات التاريخية أو الجغرافية المتداولة في النظريات التطورية والانتشارية.

كذلك يؤكد مالينوفسكي أنه من المفترض بكل ظاهرة من الظواهر المجتمعية أن تستجيب لوظيفة معينة و أنها إذا لم تعد تلبي حاجة حيوية أو مجتمعية فإن مصيرها الزوال لا محالة، والمثل الذي يضربه على ذلك العربة التي يجرها الحصان فهو لا يرى فيها راسبا من الرواسب المتبقية في زمن المواصلات البسيطة بل يرى فيه وسيلة ضرورية من وسائل النزهة والرحلة والسياحة[209] فهو يرى أن الإنسان ينشئ المؤسسات لتلبية حاجاته وبالتالي تكون الحاجة والمؤسسة هما الكلمتين المحوريتين في أي ثقافة، فهو يرى أن كل العناصر المشكلة للثقافة موجودة من أجل إشباع حاجات حيوية أو مجتمعية ولا مكان لعناصر ثقافية لا تؤدي وظيفة، وبالتالي فهو يناقض الرأي التطوري الذي يتحدث عن البقايا والرواسب والآثار الثقافية، فهو يعتبر الثقافة مكون حيوي يؤدي كل عنصر من عناصره وظائف معينة لفائدة الأفراد أو المجتمع أو الثقافة في حد ذاتها.

ونجد كذلك من رواد هذه المدرسة فرانز بواسfranz boas (1858-1942) الذي ينحدر من أسرة يهودية ألمانية ذات تفكير ليبرالي، وقد تأثر بالمسألة العنصرية وكان أحد ضحايا معاداة السامية على يد أحد زملائه في الجامعة ، تابع دراسته العليا في الجامعات الألمانية المختلفة فدرس الفيزياء أولاً ثم الرياضيات وبعدها الجغرافيا (الفيزيائية والبشرية)، وقادته دراسته الأخيرة إلى الأنثروبولوجيا ، في عام 1883-1884 شارك في بعثة إلى أرض بافن في بلاد الإسكيمو، باعتباره جغرافيّاً مثقلاً باهتمامات رجل الجغرافيا (كان الموضوع المطلوب هو دراسة أثر الوسط

[209]- جاك لومبار، **مدخل إلى الايثنولوجيا** ، ص185.

المادي على مجتمع الإسكيمو) فلاحظ أن التنظيم الاجتماعي كان محكوماً بالثقافة أكثر منه بالبيئة المادية وبالتالي عاد إلى ألمانيا عازماً على تكريس بحوثه، من الآن فصاعداً، للأنثروبولوجيا بشكل أساسي.[210] كرّس حياته لكي يثبت للناس أنّ العلم الذي كانوا يعتمدونه في تسويغ ممارساتهم السابقة إنما كان علماً سيئاً، وآمن بأن العالم ينبغي أن يكون آمناً يتسع لكل الاختلافات البشرية ، وبنظره تحتاجُ مفردة الثقافة إلى إعادة تعريف: فقد كانت مفردة الثقافة في القرن التاسع عشر تُعامَلُ بشكل عام كأنها أقربُ إلى حيازة شيء ما،كانت شيئاً تكتسبه المجتمعات في سياق عملية تطورها المستديم، وهي بهذا تُعدُّ طوراً في عملية نمو الحضارة المدنية، بمعنى أنّ الثقافة تعني طريقة محدّدة في الحياة ، والمساهمات الكبرى لبواس في هذا الشأن هي أن يُرينا الكيفية التي حازت بها المجتمعات ما قبل الحديثة البدائية Primitive كما تسمّى في الأدبيات الأنثروبولوجية ثقافاتٍ بالطريقة ذاتها التي تحوز بها المجتمعات الحديثة ثقافاتٍ خاصة بها[211].

"كان براون أكثر جفافاً وتقشفاً رغم تركه إرثاً فكرياً تمثل في سلسلة من المقالات القصيرة والمنهجية حول المقارنة والوظيفية والقرابة [212]، ينتقد المنهج التطوري حيث يدرس الأصول التي تتعلق بالنظم الاجتماعية عن طريق جمع المعلومات والظاهرات من مختلف الأزمنة والمجتمعات، حيث يرى أنه ينبغي قبل أن نوفق بين الظواهر يجب أن نتأكد من أنها انتزعت من سياق واحد، بمعنى إذا نزعنا ظاهرة تقديم الطفل كضحية أو قربان عن سياقها الثقافي فسوف نفهمها على أنها عملية قتل وجريمة نكراء ولكنها ومن وجهة نظر البناء الثقافي التي هي جزء منه تعتبر مثلا فريدًا من أمثلة التضحية وإنكار الذات، ومن ثم فالمدرسة الوظيفية تهتم بتوضيح وظيفة أي عنصر أو طقس من طقوس الثقافة وبالتالي تفتيش الباحث عن الوظيفة الحقيقية للسمة الثقافية والتي قد تكون كامنة بتعبير روبرت

---

[210]- **فرانس بواس والمفهوم الذاتي للثقافة** ، الموقع الالكتروني ارنتربوس .

[211]-لطيفة دليمي ، **فرانز بواس أزاح تأويل الاختلافات البشرية من علم الأحياء إلى حقل الثقافة كان يؤمن بوجود «ثقافات بشرية متعددة والإنسان واحد»** الشرق الأوسط ، الخميس – 19 ذو الحجة 1442 هـ – 29 يوليو 2021 م رقم العدد [15584].

[212]- سناء مبروك ، **رؤية تحليلية لملامح تطور الانثروبولوجيا الاجتماعية، الموضوع والمناهج واالمجالات** ، المجلة الاجتماعية القومية، المجلد التاسع والخمسون، العدد الثاني، مايو ٢٠٢٢، ص58 .

ميرتو غير واضحة للعيان وهي تختلف عن الوظيفة الواضحة أو الظاهرة للسمة الثقافية التي يدركها أعضاء المجتمع[213].

وقد كتب الكثير من الوظيفيين عن الثقافة ويمكن تلخيص مجمل آرائهم في عدة أفكار منها أن الثقافة لا يمكن دراستها باعتبارها شيئا تاريخيا أو باعتبارها حالة انتقلت من بقعة جغرافية إلى أخرى بل يجب دراستها على ما هي عليه في الحاضر، من ناحية بنيتها وتشكلها وتمثلاتها وعلاقاتها وتفاعلاتها مع المكونات المجتمعية الأخرى فالثقافة المدنية يهتم بها راهناً من حيث هي لازمة في الوعي المدني وتفهم الأدوار المجتمعية في خدمة المجتمع والمشاركة في تطوير البيئة مثلا والحفاظ على نظافة المحيط وغيرها من الأدوار التي تعبر عن مدنية الفرد والجماعة ، وإن الثقافة ككل تقوم بوظيفة أساسية هي تقديم إشباع لحاجات الأفراد والمجتمع حتى وإن استخدمت الرموز في ذلك فللرموز كذلك وظيفتها الروحية والمادية، فالعمل في المسجد أو في جمعية ثقافية أو طبية يشبع الحاجات الروحية والاجتماعية للفرد ، وتؤسس للعلاقات التكافلية في المجتمع .

كذلك تنظر الوظيفية إلى العناصر الثقافية باعتبارها أجزاء من ثقافة وليست مستقلة كليًا ، فلا يمكن فهمها إلا في السياق العام للثقافة فلا يمكن فهم الكثير من العادات والطقوس والسلوكات إذا جهلنا دورها الديني مثلا أو القيم التي تقف وراء هذه العادات والطقوس والسلوكات وما هي الارتباطات البنائية والوظيفية بين هذه الأشياء والدين والقيم، فالأضاحي عند المسلمين تعبر عن خلفية دينية وشعيرة فرضها الشارع على المسلمين ، وخلال الذبح يستعيد المسلمين عمل إبراهيم عليه السلام في التضحية بابنه والاستجابة لأمر الله تعالى .

كذلك تنفي الوظيفية فكرة وجود رواسب أو أنماط ثقافية أو سمات ثقافية متبقية من حقبات تاريخية سابقة أو انتشرت من مناطق ثقافية أخرى وليس لها دور اجتماعي فهي لا تعتقد بهذه الفكرة بتاتا بل تنظر إلى أن كل العناصر الثقافية مهما ظهرت إنها لا تقوم بوظيفة واضحة فهي في الحقيقة تلعب أدوار مهمة داخل النسق الكلي

---

[213]- ميشال تومسون وآخرون ، **نظرية الثقافة**، ص 251 .

للثقافة، سواء كانت هذه الأدوار مدركة من طرف أعضاء المجتمع أو غير مدركة ، فغالبا ما تكون بعض السمات والعناصر الثقافية تقوم بوظائف كامنة وهي ضرورية لاستمرار واستقرار المجتمع وهي تلبي حاجات لا شعورية للأفراد والمجتمع. [214]

نقد النظرية الوظيفية :

– حاول بعض النقاد تفسير هيمنة التحليل الوظيفي في علم الاجتماع وعلم الانتربولوجيا على أنها تعبير عن " جرائم الغرب الاستعماري " أو عن " حاجة الطبقة الوسطى لتبرير إيديولوجي لشرعيتها الاجتماعية الخاصة ، ومن السخرية اللطيفة هنا أن تلك التفسيرات للسطوة العقلية للوظيفية هي في الحقيقة ذات طبيعة وظيفية بذاتها فالالتصاق بالوظيفية يمكن شرحه من خلال عائدها كنمط تحليلي على مجموعة اجتماعية معينة ، وهي في هذه الامثلة الطبقة الوسطى أو النخبة الاستعمارية "[215] التي تنظر إلى الطرف الآخر " المستعمر " على أنه يمثل مصدر إثراء وبناء لاقتصاد المستعمر ، ومن ثم يكون استعماره وظيفيًا يكسب الكثير من المزايا والمصالح .

– التفسير الوظيفي في العلوم الاجتماعية ليس معيباً بحد ذاته ، بل إنه معيب في تطبيقه السابق فقط ، وأن تفسيراتنا الثقافية – الوظيفية تستطيع تجنب السقطات التي أصابت الممارسين السابقين للوظيفية [216] الذين يركزون تركيزاً شديداً على فحص الوظيفة في الفعل الثقافي ولا يهمهم شيئاً آخر ، من قبيل التاريخ أو التطور أو الانتقال مما تقول المدارس المفسرة المناقضة للتفسير الوظيفي .

– من أكثر الأخطاء جسامة التي وقع فيها الممارسون السابقون للتفسير الوظيفي هو البحث عن وظائف انقضت مع مجتمعات بأكملها ، فالافتراض بأن السلوك إذا كان وظيفياً بالنسبة لبعض الأفراد والجماعات في

---

[214]- **فرانس بواس والمفهوم الذاتي للثقافة** ، الموقع الالكتروني ارنتربوس

[215]– مجموعة من الكتاب ، **نظرية الثقافة** ، ترجمة علي سيد الصاوي ، مراجعة وتقديم الفاروق زكي يونس ، عالم المعرفة ، ع 223، صفر 1418– يوليو – تموز 1997 ، ص 189 .

[216]- مجموعة من الكتاب ، **نظرية الثقافة** ، ص 189 .

المجتمع يكون بالضرورة وظيفياً بالنسبة للجميع قد ترك التحليل الوظيفي مفتوحاً على مصراعيه أمام النقد القائل بأنه تجاهل الصراع " [217] ، لأن التفاعل بين الطبقات يحدث لا محالة صراعاً وصداماً بين الأفراد والتجمعات فالجماعات الحزبية مثلا تتصارع على الحكم والوصول إلى السلطة ، وحين يصل فصيل معارض إلى الحكم يتحول من كان في الحكم إلى فصيل معارض وهكذا بين السلطة والمعارضة ينجم الصراع السياسي والفكري الذي يولد أحياناً أزمات سياسية ، وقد يؤدي الصراع إلى اقتتال داخلي يؤخر التقدم السياسي ويعرض الأمن الاجتماعي إلى مخاطر حقيقية .

– أفرزت العديد من التعريفات والمفاهيم ، ولكن القليل من الفروض ، وقد قيل إن " نظريات الاختيار العقلاني مفضلة على غيرها لأنها تستطيع " تفسير تنويعة كبيرة من الحقائق الإمبريقية من خلال عدد من الفروض النظرية وقلة الفروض التي أفرزتها الاتجاهات الوظيفية ليست سمة كامنة في نمط التفسير الوظيفي بذاته ، فتماماً مثل نماذج الاختيار العقلاني ، تفرز نظرية الثقافة عدداً كبيراً من التفسيرات والتنبؤات من خلال فروض نظرية قليلة وبسيطة [218] فالفرض يتيح قدرة على التوقع ، وبناء إجابات أولية على تلك الفرضيات ، ويبني أفكار جديدة جراء التأمل المستمر، لم يهتم الوظيفيون بالفرض وانهمكوا في بناء التفكير حول الراهن الثقافي وتعميق النظر في آلياته ومقوماته

النظرية الماركسية:

" وضحت معالمها الرئيسة منذ منتصف القرن التاسع عشر ، بل وفي عام 1848 على وجه التحديد عندما صدر بيان الحزب الشيوعي الشهير الذي أعده كل من كارل ماركس k. Marx(1887–1818) وفريدريك إنجلز E.Engles (1820– 1895) لم تجد تلك النظرية صداها أو تحدث تأثيراً واضحاً في الفكر الغربي إلا عقب قيام الثورة الإشتراكية في روسيا في أكتوبر 1917 ، ومع أوائل القرن العشرين ترجمت أعمال فلاديمير لينين

[217]- مجموعة من الكتاب ، **نظرية الثقافة** ، ص 190 .

[218]- مجموعة من الكتاب ، **نظرية الثقافة** ، ص 190 .

V.Lenine (1870 – 1924) إلى اللغات الاوربية الرئيسة ، كما وقد أدى النهوض الثوري في عدد من الدول الأوربية (1918– 1923) إلى تأسيس عدة أحزاب شيوعية وإلى تدعيم التيار اليساري المتطرف وعندما تفاقمت الأزمة الاقتصادية في الدول الرأسمالية (1929 – 1933) وقامت الأنظمة الفاشية على الفكر الاشتراكي والتف حوله كثير من المثقفين ، إذ وجدوا فيه حلا للأزمة الإقتصادية العالمية ، ارتفع قدر المادية الجدلية أيضاً باعتبارها الأساس المنهجي للعلوم والسلاح الفعال ضد الإيديولوجية الفاشية " [219] وتمسك بها الباحثون كبديل فلسفي وعملي يهيء المجتمع لتغيير جديد ، ويمكنه من تجاوز الإيديولوجيا الرأسمالية وتأييد الطبقة العاملة ،التي يراهن عليها الماركسيون كثيراً في البلاد التي استجابت لفكر الإشتراكية .

"وتعد هي المهاد الأول لأغلب أفكار النقد الثقافي، فقد طرح ماركس أفكارًا هامة عن الثقافة والمجتمع لتوجيه فكر الناس إلى مناقضة المعتقدات النظرية التي كانت سائدة في عصره، على شكل مسلمات، غير أن النقد الثقافي الماركسي لم يكن أحادي الجانب " لأن ثمة عدداً من المدارس المختلفة لنقاد الماركسية ، وعلى كيفية تطبيقها في تحليل الثقافة – بشكل عام – وعلى النصوص الأدبية على نحو أكثر تحديداً وأعمال ثقافة النخبة والثقافة الشعبية ووسائل الإعلام الجماهيرية "ككل متكامل في اتساع وشمولية [220] ، فالتحول إلى تطبيقات الشيوعية لا يكون إلا عن طريق إعداد ثقافي عميق لأفكار المجتمع ، يستقبلون من خلاله الفكرة ثم ينخرطون في الممارسات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تعبر عنها .

قد جرت عدة حوارات ومناقشات بين النقاد التي تعتبر النظرية الماركسية من النظريات التطورية فهي تنظر إلى نمط الحياة أو الثقافة أنها تتطور من مرحلة إلى أخرى وتنتقل من جراء التناقضات التي تحصل في النظام الاجتماعي وأن هذا التحول والتغير يطرأ بفعل تأثير قوى الإنتاج أو العامل المادي الاقتصادي المعنوي منها والذي يتشكل من

---

[219]– حسين فهيم ، **قصة الانتربولوجيا ، فصول في تاريخ علم الإنسان** ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،الكويت ، فبراير 1986 ، ص164.

[220]- محمد بلعزوقي ، **النقد الثقافي والماركسية** ، مجلة المدونة ، ربيع الاول 1439 الموافق ل ديسمبر 2017 ، ص 446.

العرف والقانون والدين والإيديولوجية...الخ. ما هو في الحقيقة إلا انعكاس للواقع الاقتصادي ولنمط الانتاج السائد في المجتمع ونجد من بين الأمثلة الموجودة في هذا الإطار المقولة السائدة لدى الماركسيين عموما وهي أن المطحنة الهوائية تدل على المجتمع الإقطاعي في حين تدل العربات البخارية على المجتمع البورجوازي[221] .

فمعطيات الإنتاج في المجتمع توجه أفكار الناس في نمط الحياة المختار ، وتؤثر على اتجاهات كلا من الطبقة المالكة والطبقة العاملة "فالماركسية أو المادية التاريخية فلسفة سعت إلى ربط الإنتاج وإعادة إنتاج الثقافة بتنظيم ظروف الحياة المادية ، والثقافة هي قوة مادية ترتبط وتتقيد بالإنتاج المنظم اجتماعياً لظروف الوجود المادية ، ويشير مفهوم الثقافة إلى الأشكال التي يتخذها الوجود الاجتماعي في ظل ظروف تاريخية محددة ، إن الفكرة التي مؤداها أن الثقافة يحددها الإنتاج وتنظيم الوجود المادي قاربتها الماركسية بالشرح عن طريق مجاز الأساس والبناء الفوقي إذ تقبع الثقافة في البناء الفوقي الذي يشكله بناء تحتي قوامه علاقات الإنتاج وأساليبه "[222].

فالمثقف يفكر ويرسم المآلات السياسية والفكرية المختلفة ، والعامل أو الفرد في الجماعة يتبعه ويحاكيه فالثقافة حظ للطبقة المثقفة ، تستفيد منها الطبقات الأخرى المهتمة بالإنتاج ، وتحصيل الثروة والمكاسب المادية المختلفة " وهنا لا تفهم الثقافة نتاج أسلوب للإنتاج محدد تاريخياً باعتبارها منطقة محايدة وذلك نظراً لأن علاقات الإنتاج القائمة بين الأفراد تعبر عن ذواتها أيضاً باعتبارها علاقات سياسية وقانونية .. سياسية لأنها معبرة عن علاقات القوة ، وهكذا فإن أفكار الطبقة الحاكمة تمثل في كل العصور الأفكار الحاكمة ، بمعنى أن الطبقة التي تمثل القوة المادية المسيطرة في المجتمع ، تمثل في الوقت ذاته القوة الفكرية المسيطرة ، والثقافة سياسية من منظور الماركسية نظراً لأنها تعبر عن العلاقات الاجتماعية لقوة الطبقة ، كما أنها تحيد النظام الاجتماعي باعتباره حقيقة محتومة وأخيراً تلقي الثقافة غموضاً على الاستغلال الكامنة وعلى هذا النحو تعد الثقافة إيديولوجية " [223] توظفها في خدمة

---

[221]- ميشال تومسون وآخرون ، **نظرية الثقافة**، ص 251.

[222]-سيد فارس ، **نظرية الثقافة ماذا بعد أفول منظور الأنساق** ، مجلة انتربولوجيا ، مجلد 4 عدد 08 ،السنة 2018 . ص 14 .

[223]- سيد فارس ، **نظرية الثقافة ماذا بعد أفول منظور الأنساق** ، مجلة انتربولوجيا ، مجلد 4 عدد 08 ،السنة 2018 . ص 14 .

مصالح المتغلبين على نظام الحكم وتسوق خياراتها الثقافية على أنها حل للأزمة التي يعيشها المجتمع ، ولا تقبل بالمخالفين الذين يختلفون معها في الأفكار أو يروجون لغير ذات الأفكار التي يدعو إليها الرسميون الشيوعيون وإلا تعرضوا لملاحقات امنية وتهديدات بالسجن او التنكيل او القتل " وعلى إثر حادثة اغتيال كيروف بعد نحو 10 أشهر، باشر ستالين بملاحقة معارضيه السياسيين بالحزب وجميع الرافضين لسياساته ضمن ما عرف بـ"التطهير الكبير" الذي أسفر ما بين عامي 1936 و1938 عن مقتل ما يزيد عن 700 ألف شخص.[224]

نقد النظرية الماركسية :

-1- تنبَّأ ماركس بأن طبقة البروليتاريا سوف تزداد زيادة غير محدودة، وتنكمش طبقة أصحاب رءوس المال انكماشاً غير محدود، وهذا لم يحدث أبدا، فقد تعقَّد اتجاه الصناعة وتغير في حالات كثيرة ، وأصبحت تعتمد على الثورة التكنولوجية، وثورة المعلومات والكومبيوتر أكثر من اعتمادها على العمال، زادت أهمية المهارة الكيفية للعامل عن أهمية العدد الكمي للعمال، وبدلا من أن تزداد البروليتاريا، ظهرت طبقة ثالثة لم يَلتفت إليها ماركس بحكم طبيعة عصره، وهي طبقة المهندسين والعلميين والفنيين والمحاسبين والإداريين ... ودورها في عملية الإنتاج أهم من دور البرجوازية ومن دور البروليتاريا[225] ، وهذا بلا شك يؤثر على المقولات الثقافية التي كان يتضمنها الخطاب الماركسي السابق ، وتصبح غير قادرة على التكيف مع المعطى التقني الجديد أو لا تسطيع الانسجام مع التحول الطارئ.

-2- تنبأ ماركس بأن الشيوعية ستبدأ في أكبر الدَول المتقدمة تكنولوجيًا، وبالذات إنجلترا وألمانيا، والذي حدث هو عكس هذا تماماً فقد تحقَّق أول انقلاب شيوعي في دولة كانت متخلِّفة تكنولوجيّا، هي روسيا التي استبعدها ماركس تمامًا على الرغم من علاقته بالمفكر "باكونني (1814—1876) ممثِّل الفكر الاشتراكي في البرجوازية الروسية

---

[224]-طه عبد الناصر رمضان ، **هكذا أعدم ستالين 1108 سياسيين شك في معارضتهم لسياساته**، العربية نت ، 06 مارس ,2022.

[225]- يمنى طريف الخولي ، **ركائز في فلسفة السياسة** ، مؤسسة هنداوي ،2019 ، ص 44.

وأعقبت روسيا دولة أكثر تخلفاً هي الصين، وفي الربع الثالث من القرن العشرين توالت انقلابات شيوعية في دولة متخلفة كاليمن الشمالية وأفغانستان.[226] فالذي يعيبه ماركس أو لا يتوقع حدوثه في بلده الذي انطلق منه الفكر الماركسي ، يحدث قريباً منه ، ويحدث الصدمة لدى منظري الماركسية.

3- إنها أيديولوجيا، والإيديولوجيا حسب ما يعرفها " جورج طرابيشي "حجاب حاجز بين الوعي والواقع وما دامت أنها حجاب وحاجز فهي أمر خطير تجعل المثقف لا ينتبه إلى الواقع ليتفكر فيه ويبحث فيه مباشرة من أجل تغييره ، و"كارل بوبر" Karl Popper (1902- 1994) استهوته في بداياته أفكار " ماركس"، فانخرط في التنظيمات الاشتراكية، لأنه كان يصبو إلى عالم أفضل تتحقق فيه العدالة المساواة اللتين اتخذتهما الماركسية شعارًا، لكن احتكاكه بالتطبيقات الواقعية لمعتنقيها وممارساتهم، كتبريرهم للعنف والاستبداد جعله يكتشف حقيقة الماركسية[227].وفي كثير من الأحيان تتناقض السلوكات مع الأفكار المعتنقة أو لا يستطيع المنظرون لها تجسيدها بعد الوصول إلى الحكم أو قبله على مستوى التنظيم ، وتتحول الفكرة إلى مجرد شعار يرفع حيناً من الزمن ثم يأفل .

4- ويعترف "طرابيشي" أن فكره الشخصي ما عاد إلى الاشتغال إلا بشرط إمكان هو العودة إلى الواقع واكتشافه حيث يقول عن الماركسية " أنا لا أنكر أن الماركسية قامت لي في يوم من الأيام مقام المصباح لإنارة الواقع وقراءة نصه، ولكن لا يغيب الزميل أن هذا المصباح الذي يضيء ــ سواء في حالة الصراطية أو في حالة الهرطقة ــ إلا إذا حبس المرء نفسه في تلك "الغرفة السوداء" التي هي الإيديولوجيا الماركسية "[228] التي لا تنظر إلى غيرها من الأفكار أو الإيديولوجيات وترى نفسها حقيقة بالتغيير والأولى بالاتباع ، وغيرها لا يستطيع أن يكون بديلا أو يفتقد الصلاحية المناسبة له ، فتعدم اي فكرة اخرى وتنظر إلى ذاتها بعين القداسة والتبجيل .

---

[226]- يمنى طريف الخولي ، **ركائز في فلسفة السياسة** ، مؤسسة هنداوي ،2019 ، ص 44.

[227]-عمارة بوزيزة ، **مطارحات في نقد الماركسية عند جورج طرابيشي** ، مجلة العلوم الإنسانية ، المركز الجامعي على كافي ، تندوف – الجزائر ، المجلد 04 العدد 05 –كانون الاول 2020 م ، الموافق ل جمادى الاولى 1442هـ ، ص 273 .

[228]-عمارة بوزيزة ، المرجع ذاته ، ص 273 .

5-وظيفة المثقفين هي إنتاج اليوطوبيا[229]، ولكن يوطوبيا المثقفين يجب أن تبقى يوطوبيا، والخطيئة الأصلية والمميتة لليوتوبيا الماركسية أنها أرادت نفسها من الأساس واقعاً، بل ميزت نفسها عن كل يوتوبيا أخرى بافتراض نفسها "واقعية" و"علمية " إن المثقف هو الذي يسعى إلى تأسيس مواقف وتصورات مثالية لتغيير واقعه المتأزم تلك التصورات والأفكار التي ينتجها يجب أن تبقى كذلك، إذ لا يمكن القول أن تلك الأفكار نفسها تمثل الواقع فالأفكار شيء والواقع شيء آخر، وهو ما حدث مع الماركسية التي رأت نفسها أنها هي الواقع، وأنها واقعية وعلمية، وهنا يكمن الخلط لأن الماركسية هي أفكار وليست واقعًا،[230] وحين تمتد المسافة بين الفكرة والواقع تصبح غير جديرة بالبقاء ، ولزم أن تترك المجال لغيرها من الأفكار ، وتخبو حيويتها لدى الناس بسبب فقدان الصلة بالواقع وعدم القدرة على تحقيقها في دنيا الناس .

.5النظرية الإيكولوجية:

يعتبر هذا الاتجاه حديث العهد نسبيا في الدراسات الثقافية المعاصرة ومن أقطابه جوليان ستيوارد Julian Steward (1902 – 1972) في عام 1955حاول من خلال هذا العمل إثبات أن ظهور النظم الاجتماعية جاء من أنماط استغلال الموارد ، التي يحددها تكيف تكنولوجيا السكان مع بيئتها الطبيعية، بمعنى آخر ، قام Stewardبإجراء تحليل لكيفية تكيف المجتمعات مع بيئتها ، يعتبر عالم الأنثروبولوجيا "التطور متعدد الخطوط" مطالب البيئات المادية والتاريخية المتنوعة لإنتاج مظاهر اجتماعية، والتكيف مع الظروف الجغرافية يتيح الانخراط في العمل الثقافي وإنتاج انجازات متنوعة ، تعبيراً عن التفاعل مع معطيات البيئة والاستجابة لمعطياتها وتأثيراتها المختلفة

---

[229]- إن مصطلح يوتوبيا (UTOPIA) حاله كحال الكثير من المفاهيم والمصطلحات الأخرى، يعاني من إشكالية التعدد الدلالي، فكلمة يوتوبيا كلمة يونانية مركبة مؤلفة من مقطعين OU : ويعني لا و (TOPOS) ويعني مكان، وبالتالي يصبح المعنى الحرفي لكلمة يوتوبيا هو:) اللا مكان)، وأما أول من صاغ هذا المصطلح بصورته الحالية(UTOPIA) ، فهو المفكر الانجليزي ''توماس مور'' (1478-1535م) وجعله عنواناً لكتابه الشهير (يوتوبيا) والذي أصبح لدى البعض مرادفاً لمفهوم المدينة الفاضلة، رغم أن اليوتوبيات كفكر فلسفي أو خيال أدبي ظهر منذ الحضارة اليونانية.، انظر زياد عبدالكريم النجم ، **اليوتوبيا في ضوء جدل العلاقة بين الممكن واللاممكن** ، موقع مقال ، منصة مقالات عربية حرة .

[230]- عمارة بوزيزة ، المرجع ذاته ، ص 275 .

على الفرد والمجتمع ، فالتغير البيئي أو الإيكولوجي يفرض واقعاً ثقافياً جديداً على الناس ، فتنمو مفاهيم جديدة وعلاقات وتفاعلات وممارسات غير التي كانت معروفة في المرحلة السابقة ، فالتكنولوجيا الحالية غيرت واقع الإنسانية تغيراً عميقًا وأفرزت واقعاً جديداً على المستوى الفكري والثقافي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي والعسكري .

يرى Steward أن مسألة شرح السلوك الثقافي للإنسان هي النظام المختلف من ذلك الذي يشرحه تطوره البيولوجي، إذ لا تستمد الأنماط الثقافية وراثياً، ولذلك لا يمكن أن يتم تحليلها بنفس الطريقة بوصفها سمات أو مميزات العضوية، على الرغم من دفع علماء الإيكولوجيا الاجتماعية المزيد والمزيد من الاهتمام إلى الثقافة في تحقيقاتهم إلا أنه لا يتم تفسير ها بحد ذاتها، وبقدر ما أستطيع أن أرى، أصبحت هدفاً رئيساً لهم[231] وينظرون إلى السلوك الثقافي على أنه نتاج طبيعي لتفاعلاتهم مع الطبيعة ، وتظهر تجليات الطبيعة المختلفة (حالة البرودة والحرارة ، والهواء ، .. وغيرها) والمكان على ثقافة الناس فما يختاره الإنسان الإفريقي من رموز وتعابير وطقوس وعوائد يختلف عن الانسان الأسيوي عن الإنسان الأوربي

أصدرت الخبيرة البريطانية سوزان غرينفلد كتابها "تغير العقل" في العلوم العصبية ، حاولت الإجابة عن سؤال محوري: "كيف يتأثر العقل البشري وظيفيا وتشريحيًا بسبب غرقه وانشغاله الدائم في عوالم التكنولوجيا والإنترنت؟" وأشارت إلى أن الإنسان الحديث قد تحول إلى إنسان رقمي، وتأثر بالتقنيات الرقمية التي تدخلت في مهاراته المعرفية، نمط تفكيره، ثقافته، تطلعاته الشخصية، بل وحياته كلها، لتدق ناقوس التحذير بشأن تعرض النشاط الإنساني لخطر شديد، مع تضييق دائرة هذا النشاط الطبيعي بشكل تدريجي، خاصة فيما يتعلق بالأجيال الجديدة التي جرى تصنيف أفرادها ك "مواطنين رقميين"، وقد شرحت الكاتبة ذلك بالقول: "منذ العام 1970 تقلص

---

[231]- ياسر خضر عباس العباسي ، وليان ستيوارد ومعاينة الإيكولوجيا-بحث في االأنثروبولوجيا الثقافية ، 2015 ، الجامعة المستنصرية- كلية الآداب- قسم الأنثروبولوجيا التطبيقي، ص 16.

نصف قطر دائرة نشاط الطفل، وهو مقدار المساحة المحيطة بالمنزل التي يتجول فيها الطفل بحرية، بدرجة مذهلة بلغت 90 في المائة. ويعد هذا التقييد للعب أمرا غير مسبوق[232]."..

أثرت التكنولوجيا الحديثة تأثيرا عميقاً في حياة الإنسان لدرجة أنه ارتبط بها ارتباطاً شديدا وليس في إمكانه التخلي عنها ، وأصبحت جزءا لا يتجزأ من حياته ، لدرجة أنه إذا انقطع تيار الانترنت انقطع كل شيء ، ولا يستطيع أن يبادر إلى فعل شيء ، ويشعر بانه معزول عن العالم تماماً ، بل قد يعطل أي شغل مهني أو اجتماعي ويركز فقط على كيفية استعادة خط الانترنت ، وينفق اموالا معتبرة في ذلك ، ناهيك عن الوقت المستنفد في التفاعل مع مخرجاتها ، في تقرير صدر عن مؤسسة التراث القومي National Trust جرت صياغة مصطلح " اضطراب نقص الطبيعة Nature Deficit Disorder ليس لوصف حالة مرضية حقيقية ، بل بوصفه تعبيراً حياً عن نمط متوطن من السلوك الذي أشار للمرة الأولى على الإطلاق إلى أننا صرنا منفصلين عن العالم الطبيعي مع كل جماله وتعقيده ومفاجآته المتواصلة " ،[233]ونفضل الانغماس في عالم وهمي بعيداً عن الواقع الحقيقي وفي كل مرحلة اتصالية بالأنترنت ننفصل عن المجتمع ونكتسب أفكاراً غير واقعية ، بل غير موضوعية وأحياناً ويظل هذا التأثير فاعلا في الافراد والجماعات ، والتطور التكنولوجي المطرد تكيف مع البيئة ومحاولة للسيطرة على صعوباتها وتطويعها لإدارة الغنسان ورغبته في تحقيق الرفاه .

وفريدريك بارث، وماكس جلوكمان، وهم يركزون على العلاقة الدينامية المتبادلة بين الإنسان ومكونات البيئة الطبيعية التي يعيش فيها، فمن ثم فهم يبحثون عن عمليات التكيف التي تؤدي إلى ظهور صيغ ثقافية متباينة هذه النظرية ترى أن الناس كانوا طوال تاريخهم الطويل في صراع مستمر مع البيئة من أجل التكيف معها وحماية أنفسهم

---

[232] - عبد المجيد سباطة ، **كيف تترك التقنيات الرقمية بصماتها على أدمغتنا؟** مدونات ، قناة الجزيرة ، 2018/4/9 .

[233]-سوزان غرينفليد ، **تغير العقل ، كيف تترك التقنيات الرقمية بصماتها على أدمغتنا** ، ترجمة إيهاب عبد الرحيم علي ، سلسلة عالم المعرفة ، فبراير 2017 ، العدد 445 ، ص 36 .

أخطارها من خلال اختراع العديد من الوسائل التكنولوجيا مثل المعادن واللدائن ونمو أشكال الوقود والطاقة النووية للحفاظ على الثقافة التي طوروها[234]

حينما يتحدث عن المعتدل من الأقاليم والمنحرف وتأثير الهواء في ألوان البشر والكثير من أحوالهم وفي حديثه كذلك عن أثر الهواء في أخلاق البشر "ولهذا كانت العلوم والصنائع والمباني والملابس والأقوات والفواكه بل والحيوانات وجميع ما يتكون في هذه الأقاليم) يقصد الأقاليم المعتدلة الحر و البرد(الثلاثة المتوسطة مخصوصة بالاعتدال وسفالإنسان في تعامله مع الطبيعة يحاول دائما أن يتكيف معها حتى وإن كان يسعى للسيطرة عليها وتطويعها لإشباع حاجاته ، إلا أن عجز الإنسان في كثير من الأحيان يجعله يكتسب صفات بيولوجية وثقافية تمكنه من التواؤم والتوافق مع ظروف بيئته، فحتى اللغة التي تعتبر وعاء الثقافة نجدها تتأثر بالبيئة.

نقد النظرية الإيكولوجية :

هذه النظرية ترى أن للواقع الإيكولوجي دور أساسي في صياغة وبناء الثقافة ويظهر بذلك في سماتها الثقافية وأنماط سلوكها وأنظمتها الاجتماعية وفنونها وتقاليدها ودياناتها...الخ ، ولكن لا يعود التطور الثقافي أو النمو الثقافي إلى عنصر الطبيعة والإيكولوجيا فقط ، بل تتدخل عوامل عديدة تاريخية وفكرية ونتيجة الاحتكاك والهجرة والتفاعل وغيرها من العوامل في إنتاج الظاهرة الثقافية ، فالظروف الطبيعية تؤثر ولكن لا يعني أنها حاسمة وقطعية في بناء الثقافة على المستوى الفردي والجماعي، ولذلك تأخذ العوامل الدينية والاجتماعية والسياسية والأخلاقية والاقتصادية سبباً عميقاً لتشكيل السلوك الثقافي لقد ظهرت آراء جديدة في المنظور التطوري للثقافة ولقد احتلت هذه الآراء أهمية كبيرة على الرغم من أن تساؤلات أنصار هذه النظرية لم تختلف كثيرا عن سابقيهم في القرن التاسع عشر إلا أنهم أضافوا إليها بعض التعديلات والأفكار وثيقة الصلة بميكانيزمات التغير والقوانين العامة التي تحكم التغير الثقافي.

---

[234]- يحي مرسي ، **أصول علم الانسان** ،ص374.

فنجد ليزلي هوايت يتحدث عز مراحل تطور الثقافة كما لو كانت مراحل كلية عامة تميزها الخبرة الإنسانية المتراكمة ويرى أن الثقافة تنمو وترتقي وفقا لازدياد كمية الطاقة، أو وفقا لازدياد الكفاءة التي تستخدم بهذه الطاقة

كما أوضح ذلك جوليان سيتوارد أن تعدد الأصول التطورية المتوازية يمثل حقيقة واقعية يمكن إدراكها عن طريق مقارنة التغيير الثقافي الحادث في ثقافات متباينة وأوضح أن هناك ثلاث عناصر رئيسية تحكم التطور أو التغير الثقافي[235] وهي:

1- النظم الأساسية في مقابل الهامشية أو المحيطة، 2-النمط أو النموذج الثقافي، 3-مستويات التكامل الاجتماعي والثقافي ،وبهذا تصبح هذه النظرية نقلة نوعية للنظرية التطورية حيث انتقلت من التفسير الأحادي لتطور الثقافة إلى تفسير متعدد العوامل ومن المسار الواحد الذي يسلكه التطور إلى المسالك المتوازية للتطور، فتطور الثقافة يتيح للمجتمع إبداع نماذج ثقافية عديدة يستند إليها في عملية التفاعل الثقافي الداخلي والخارجي ، ويبني عليها في تشكيل صيرورة ثقافية تنفتح على الطبيعة وتتلاءم مع تغيراتها المختلفة ، كما تنفتح على الثقافات المحلية واللهجات المختلفة ، وتستجيب للاحتياجات المختلفة العديدة .

ظهور مفهوم الثقافة Culture في البيئة الفكرية العربية :

توقفت الترجمة إلى العربية عملياً في عصور الانحطاط ، وذلك بسبب توقف الاجتهاد اللغوي وانحسار العربية وانغلاقها في قوالب محنطة ، غير أن النشاط الثقافي – بما فيه حركة الترجمة – عاد إلى الحياة عندما بدأت العربية تجدد نفسها في القرن التاسع عشر الميلادي في الفترة التي يطلق عليها اسم " عصر النهضة " [236] وانطلقت جهود الترجمة في تعريب نفائس الفكر الإنساني ، والعناية بالإصدارات الفكرية والفلسفية والاخلاقية والعلمية ذات القيمة

---

[235]- يحي مرسي ، **أصول علم الانسان** ،ص368 .

[236]- بسام بركة ، **الترجمة إلى العربية ودورها في تعزيز الثقافة وبناء الهوية – دراسة –** المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، قطر ، 2012 ، ص 15

العالية وحدثت حركة ترجمة واسعة تم فيها اختيار كلمات عربية نزعت من جذورها وسياقها لتزيح المعنى العربي جانباً وتحل محله تماماً ، فلم تتم الترجمة طبقاً للدلالات الأصلية لكلا اللفظين بحيث يختار من العربية اللفظ الذي تتساوى دلالاته أو تقارب دلالات اللفظ الأوربي ، وإنما تمت طبقاً للمقابل اللفظي في معناه الخارجي المتداول وقد أدى ذلك – فيما أرى – إلى طمس الدلالات الحقيقية للمفهوم العربي واستبدال دلالات أوربية بها ، بحيث لم يعد من المفهوم العربي غير لفظه ، أما جوهره ومعناه فلا علاقة له بالمظهر أو الوعاء اللفظي."[237] ذلك لأن المصطلح يحمل حمولة معرفية تنتمي للثقافة التي أنتجتها ، وتفرض بنيتها على الوسط اللغوي الذي تتحول إليه .

وعند الحديث عن ترجمته إلى العربية نجد خلطاً وتشويشاً ، فقد ترجم إلى ثقافة مرة وإلى حضارة مرة أخرى وثالثة يترجم إلى الثقافة والحضارة ، ويعد " سلامة موسى " أول من أفشى هذا اللفظ في مقابل اللفظ الأجنبي Culture ، حيث يقول : " كنت أول من أفشى لفظة الثقافة في الأدب العربي الحديث ، ولم أكن أنا الذي سكها بنفسه فإني انتحلتها – أي سرقتها من ابن خلدون ، إذ وجدته يستعملها في معنى شبيه بلفظ "كلتور " الشائعة في الأدب الأوربي ، والثقافة هي المعارف والعلوم والآداب والفنون يتعلمها الناس ويتثقفون بها ، وقد تحتويها الكتب ومع ذلك هي خاصة بالذهن ، أما الحضارة فمادة محسوسة في آلة تخترع وبناء يقام ونظام حكم محسوس يمارس ، ودين له شعائر ومناسك وعادات ومؤسسات ، فالحضارة مادية أما الثقافة فذهنية ، مثلما تقول المدرسة الألمانية [238] .

يقول ابن خلدون :" وذلك أن الحذق في العلم والتفنن فيه والاستيلاء عليه إنما هو بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله ، وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الحذق في

---

[237]- نصر محمد عارف ، **الحضارة الثقافة ، المدنية ، دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم** ، ط 2 1415 هـ – 1994 م المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ص 27

[238]- نصر محمد عارف ،**الحضارة ، الثقافة ، المدنية** ، ص 27.

ذلك الفن المتناول حاصلا "[239] والملكة تعني القدرة على التعلم والفهم وتحصيل المعارف والتأمل في قضايا العلم والمعرفة وهي ممارسة المثقف في عصرنا الذي يوظف علمه في فهم القضايا والإشكالات المطروحة في المجتمع أو تلك التي يتناولها الرأي العالمي أو الدولي ، ويتخذ منها موقفاً مؤيداً أو معارضاً ، وابن خلدون لم يسمها " ثقافة " ولكنه نعتها بالملكة والحذق في التعلم.

ويلفت بعض الباحثين النظر إلى أنه لا أثر لهذه الكلمة "الثقافة" في لغة "ابن خلدون" الذي يعتبر المرجع الأول لعلم الاجتماع العربي في العصر الوسيط ، وإذا كان من غير الميسور أن يحصي الباحث كل ألفاظ ابن خلدون في "المقدمة" ليرى إن كان قد استعمل هذا اللفظ أم لا؟ فإن الحقيقة أن ابن خلدون قد تناول في "الباب السادس" من "المقدمة" الكلام على كل أنواع العلوم وأصنافها، والتعليم وطرقه.. وقد عقد واحدًا وستين فصلًا عالج فيها البحث في مختلف أنواع الثقافة في عصره، وإن لم يستعمل لفظة "الثقافة" نفسها كما سلف ولعل ابن خلدون كان يعني بما أطلق عليه "الملكة" ما تدل عليه لفظة "الثقافة ممتزجة بالموهبة فقد ذكر أن "نوع المحفوظ يقرّر اتجاه صاحبه في الأدب أو العلم، فالملكة الشعرية تنشأ بحفظ الشعر، وملكة الكتابة بحفظ الأسجاع والترسل، والعلمية بمخالطة العلوم والإدراكات والأبحاث والأنظار، والفقهية بمخالطة الفقه.. إلخ" "[240].

فالمفهوم الماثل في الأذهان عن الثقافة هو مفهوم Culture نفسه ، وبنفس مدلولاته التي تدعو إلى النقل والغرس والإحلال والزراعة .. الخ ، وبنفس المسلمات الكامنة خلفه من ضرورة الانتشار الثقافي والتثاقف والمثاقفة وضرورة أن تتبنى المجتمعات التقليدية الثقافة الحديثة كسبيل للنهوض والتطور ، لأن تاريخ البشرية يسير في خط صاعد متقدم متجاوز بصفة دائمة ، فكل قديم يحمل قيمة سلبية ، وكل جديد يحمل قيمة إيجابية ، كل ذلك نابع من أن لفظ الثقافة العربي وضع بإزاء معاني لفظ Culture الأوربي ومدلولاته .[241] ، ولأن المفهوم لم يتسم بهذه

---

[239]- ابن خلدون ، **مقدمة ابن خلدون** ،منشورات دار ومكتب الهلال ، ص 274 .

[240]- عمر عودة الخطيب ، **لمحات في الثقافة الإسلامية** ، من موقع المكتبة الشاملة الالكترونية ، ص 26.

[241]- نصر محمّد عارف ،**الحضارة ، الثقافة ، المدنية** ، ص 27.

التسمية في تاريخ الثقافة العربية ، جنح عدد من المفكرين والمترجمين إلى تقبله بخلفياته والاستجابة إلى مضامينه الغربية التي تأسس عليها ، ولذلك لم يقبل لفيف من المفكرين بإعادة النظر في مفهومه والفكاك من سياقه الثقافي الذي يعكس الفكر الغربي ولا يقترب من الفكر العربي الاسلامي ومن حيثيات الثقافة العربية إلا في بعض المفاهيم العامة ، وكتبت كتب كثيرة تدعو إلى التقليد واتباع الثقافة الغربية والتفكير على منوالها باعتبار القوة التي تقف حولها وحالة الانبهار بها من قبل المفتونين بها والمغلوب على رأي ابن خلدون مولع باتباع الغالب .

مفهوم مثقف في الفكر العربي :

لاحظ الجابري أن مفهوم " المثقف " مفهوم ضبابي في الخطاب العربي المعاصر ، على رغم رواجه الواسع ، إذ هو لا يشير إلى شيء محدد ولا يحيل إلى نموذج معين ولا يرتبط بمرجعية واضحة في الثقافة العربية الماضية والحاضرة وذلك لأنه بقي على الرغم من استعماله الواسع يفتقد إلى التبيئة الصحيحة داخل الثقافة العربية الإسلامية ..لأن هذا المفهوم قد نقل إلى العربية من الثقافة الأوربية عبر ترجمة ناجحة من دون شك ولكنه لم تتم تبيئته بالصورة التي تمنحه مرجعية محدد في فضائنا الثقافي فبقي غريباً على الرغم من انتشاره الواسع ، فالذين يستعملونه عن علم وهم قلة ينشدون إلى مرجعيته الأوربية ويعطونه معنى من هناك في خطابهم العربي ، وهو معنى غريب عن الفضاء الثقافي العربي لكونه يرتبط بظروف تاريخية تقع خارج التاريخ العربي[242] وحتى في وصف العالم أو ندائه لا يستحضرون تسمية المثقف بل يطلقون عليه الشيخ أو الفقيه أو المربي أو الداعية وغير ذلك من الأسماء ذات الصلة بالثقافة العربية الإسلامية ، وحين نفكر في ثقافة هنا لا نتحدث عنها بالمعنى الألماني للكلمة ولا بالمعنى الأنتربولوجي ، بل سنفكر فيها ونتحدث عنها بالمعنى " العربي " للكلمة ، وهذا المعنى ، ولو انه مولد حديثاً ، فهو يتميز بتلك العلاقة العضوية اللغوية الاشتقاقية بين كلمة " ثقافة " وكلمة " مثقف " وهي علاقة لا نجدها في اللغات الاوربية حيث تنفصل الكلمة الدالة على " الثقافة " (كولتور) عن الكلمة الدالة على " المثقف " (انتلكويل) انفصالا

---

[242]- محمد عابد الجابري ، **المثقفون في الحضارة العربية بن محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد** ، ص 14 .

لغوياً تاماً اعني انهما لالا يشتركان في جذر لغوي واحد .. وما نقصده هنا " الثقافة " هو ما يجعل الإنسان " مثقفا " بالمعنى الاصطلاحي المعاصر للكلمة ، و" المثقف " في المجال التداولي العربي الراهن هم من مهنته استهلاك المواد الفكرية والمساهمة في غنتاجها ونشرها ، وإذاً " فالمسألة الثقافية في الوطن العربي هي في مظهرها الاول والمباشر مسألة المادة المعرفية المستهلكة وطريقة استهلاكها وإعادة إنتاجها ، إنها إذاً مسألة الفكر : الفكر كمحتوى والفكر كأداة [243] ، يفكر في المشكلات المعروضة ويحاول فهمها واستيعابها وتقديمها للمجتمع في شكل محاضرات وندوات وتدخلات في وسائل الإعلام المختلفة وعبر الكتابات المتخصصة وغير المتخصصة إلى جانب الألوان الأدبية الأخرى من القصة والمسرحية والرواية والشعر التي تشتمل على مضامين عديدة تتصل بالفرد والمجتمع وتهتم بشؤون الوعي السياسي والاقتصادي والثقافي والاجتماعي والاخلاقي .

ويحمل المثقف المادة المعرفية من مصادر ثقافية مختلفة ، فالمثقف المتدين يستدعي ثقافته الشرعية في النظر السياسي والاجتماعي والاقتصادي ، وفي ممارسته السياسية والنقابية والجمعوية يستجيب لذات الثقافة ويحاول قراءة الأحداث والمواقف المختلفة في ضوئها ، ويحاجج بها الاتجاهات الاخرى ، والمثقف العلماني أو الاشتراكي أو الليبرالي يقوم بنفس الفعل إزاء ما يفكر فيه أو يمارسه حزبيًا أو نقابياً أو جمعوياً ، يحاول إقناع المجتمع بخياراته الفكرية تلك ، ويفسر الأحداث والمواقف المستجدة في ضوء خلفيته الفكرية التي نشأ عليها وقرأ ابجدياتها وتتلمذ على أساتذتها ، وهكذا كل مثقف يحاول استمالة المجتمع إليه والانتصار إلى فكرته التي يعتقد بصلاحيتها لتطور المجتمع ، والتسيد على التيارات الأخرى أو على الأقل الظهور عليها مثل الذي حدث بين الرافعي وطه حسين وكان يمثل الدفاع عن التيار الاول رجال الأزهر ودار العلوم والقضاء الشرعي ، ومن دار في فلكهم في مصر وأمثالهم في البلاد العربية والإسلامية ، والتيار الآخر خريجو المدارس والكليات الاجنبية في الداخل وخريجو

---

[243]- محمد عابد الجابري ، **المسألة الثقافية في الوطن العربي** ،سلسلة الثقافة القومية ، قضايا الفكر العربي (1) ، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ، ط 2 ، آذار – مارس 1999 ، ص 19 .

الجامعات الغربية والوافدون من الخارج ومن تتلمذ عليهم [244] ، واحتدم الصراع بين الفريقين وصاغ كل فريق منظومة مفاهيمه محاولا الانتصار وكسب الاتباع وتثبيت أفكاره في المجتمع ، والرافعي يرى ان طه حسين اداة اوربية استعمارية غرضه هين عرى الإسلام ، وياخذ عليه انه لم يصل على النبي مرة واحدة في كتابه ولو بحرف (ص) كما يفعل نصارى العرب ويسميه المبشر " طه حسين " مرة و" المستر حسين " اخرى ويشير إلى دور زوجته في حياته وتأثيرها عليه ويتهمه بالزندقة والالحاد "[245].

ولا يزال السجال الفكري قائماً بين التيارات المختلفة في المجتمع العربي الإسلامي إلى يومنا هذا وسيستمر ويتواصل، بسبب التباين الطبيعي بين البشر ، ونتيجة الظروف الاجتماعية التي ميزت تطور المجتمعات العربية الإسلامية ، وقد تميزت بها مذ انطلاقتها فلم تستقر على اتجاه واحد ومدرسة واحدة في كل الشؤون المعرفية والسياسية والفكرية والاجتماعية ، فبرزت رؤى كثيرة وتولدت مدارس عديدة تعبر عن خصوبة العقل الإسلامي وجاهزيته للتفكير والإبداع ، وقد يتوقف أو يتعطل أو يضعف في مرحلة من المراحل التاريخية ولكن سرعان ما يعود إلى التفاعل مع معطيات الكون والطبيعة ويجدد آليات الإنجاز ويستوعب معطيات الحياة في مختلف شؤونها وتحدياتها .

---

[244]- يوسف القرضاوي ، **الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة** ، ص 4 .

[245]-إبراهيم عوض ، **معركة الشعر الجاهلي بين الرافعي وطه حسين ، بحث موضوعي مفصل** ، الألوكة 1987 ، ص 17 .

خاتمة :

تميزت الوجود الفردي في لمجتمع الغربي قبل النهضة وبداية عصر الانوار بهامشية خطيرة كرست لها الكنيسة ورجال الدين الذين أمعنوا في منع الإنسان الاوربي من الانطلاق وحجزه عن التعرف إلى ما حوله من مفردات الطبيعة وسلب قواه العقلية لئلا يفكر في مصيره ، أو يخرج عن النمط التفكيري الذي رضي به القسس ، واتخذوه منهجاً في الفهم ، ففرضوا على الإنسان صكوك الغفران ، ورهبوه من مخالفة الكنيسة وضربوا عليه سوراً من التضليل ليقبع في ما رسم له من القول والفعل ، وحسبوه وضعا خالدا لصيرورة التفكير ، حتى سئم الإنسان الغربي من هذا الوضع البائس ، وبدأ في التغيير والدفاع عن إنسانيته وحريته وفرديته ، وإقناع غيره بضرورة الكيان المستقل عن الكنيسة وانبرى المفكرون لرسم الصيرورة الجديدة للفرد في المجتمع الغربي وتفكيك الهيمنة الكنسية التي عطلت التقدم في المجتمع الغربي كثيراً ، وقاوموا التضليل المتعمد وأرسوا ثقافة جديدة يعتمد عليها الفرد في بلوغ اهدافه وتحقيق طموحه وكذا المجتمع الذي فهم فكرة التقدم والنهوض .

وحين تطورت إدراكات الفرد لذاته وللمجتمع تطورت الثقافة التي انسجمت مع الوعي الجديد وباتت ثقافة إيجابية قريبة من واقع الإنسان والمجتمع ، تعبر عن وضع نام وناهض يفكر في التشبث بالحياة وصناعة القوة المهيمنة ليس على مستوى الحياة الغربية بل المهيمنة على الحياة الإنسانية الأخرى التي تجلت في الاستعمار والسطو على ممتلكات الشعوب الضعيفة بسبب تطور العلم واختراع آلة الحرب المدمرة التي وظفت في إذلال الإنسان من جديد فالإنسان الغربي انتصر على إرهاب الكنيسة ولكنه أنتج إرهاباً جديداً على الإنسان والحضارة البشرية ، فقتل وعذب ونكل وجوع وطمس معالم حياة بشرية قائمة مثلما حد في قضاء الامريكيين على الهنود الحمر في القارة الامريكية .. فالثقافة تعرف بالإنسان وترشد إلى التواصل مع الثقافات الاخرى وتبني الوعي بحقوق الإنسان وتنشر المحبة والسلام بين الشعوب وتحترم الخصوصيات الثقافية ، ولا تتقصد التسيد والسيطرة على ثقافات الامم الضعيفة والمقهورة .

المصادر والمراجع :

01-جميل صليبا ، **المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية** ، ج 1 ،لبنان ، دار الكتاب اللبناني ،لبنان ، 1982.

02 - رضوان السيد ، أحمد برقاوي ، **المسألة الثقافية في العالم العربي – الإسلامي** (بيروت ، دار الفكر ، ط 2 ، 1422هـ – 2001 م) .

03- مايكل كاريذس ، **لماذا ينفرد الإنسان بالثقافة الثقافات البشرية :نشأتها وتنوعها** (الكويت ، عالم المعرفة ، المجل الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ع 229 ، رمضان 1418 هـ- ينار –كانون الثاني 1998).

04- ابن منظور ، **لسان العرب** (بيروت ، دار صادر ، 2003 ، ج 11 نقلا عن الموقع لالكتروني لإسلام ويب .

05- زياد بركات ، **دور المعلم في مراعاة الفروق الفردية لدى طلبته في ضوء بعض المتغيرات** (فلسطين ، جامعة القدس المفتوحة ، 2004)

06 - مُحَمَّد مصطفى زيدان ، **معجم المصطلحات النفسية والتربوية** (جدة ، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة ، ط1 ، 1399هـ- 1979 م).

07- فرج عبد القادر طه ، محمود السيد أبو النيل وآخرون ، أشرف عليه وراجعه فرج عبد القادر طه ، **معجم علم النفس والتحليل النفسي** (بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ط1 ، بدون تاريخ) .

08 - ألفرد أدلر ، **سيكولوجيتك في الحياة كيف تحياها ؟** ، تعريب عبد العلي الجسماني (بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1 ، 1996م) .

09- ألفرد آدلر ، **معنى الحياة** ، ترجمة وتقديم عادل نجيب بشرى (القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، ط 1 ، 2005م) .

10- مالك بن نبي ، **مشكلة الثقافة** (دمشق ، دار الفكر ، ط4 ، 1984 ، الإعادة الحادية عشرة) .

11 - ر . بودون وف . بوريلو ، **المعجم النقدي لعلم الاجتماع** ، ترجمة سليم حداد (الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط1 ، 1406 هـ- 1986).

12 -جميل صليبا ، **المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية** ، ج 1 ،لبنان ، دار الكتاب اللبناني ،لبنان ، 1982.

13-زيغريد هونكه ، **شمس الله تسطع على العرب** ، **فضل العرب على أوربا** ، ترجمه وحققه وعلق عليه فؤاد حسنين علي ،دار العالم العربي ، القاهرة ، ط2 ، يناير 2008 – محرم 1429 م .

14- صخر الغزالي ، **القراءة وأثرها في بناء الوعي**، مدونات الجزيرة 2016/12/2.

15 - كامل مُحَمَّد مُحَمَّد عويضة ، **أوغسطين فيلسوف العصور الوسطى** ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1، 1413هـ-1993م .

16- زكي نجيب محمود ، **ديفد هيوم** ، مؤسسة هنداوي ، 2021 .

17- عبد الحميد عبيدي ، **قراءة نقدية جديدة في الاسس الايديولوجية للفردانية وراهنيتها في المجتمعات الغربية** ، مجلة عمران ، العدد 32 ، ربيع 2020 .

18-عبد الوهاب المسيري ، **دفاع عن الإنسان** ، **دراسات نظرية وتطبيقية في النماذج المركبة** ، ط1 ، 1424هـ -2003م ، دار الشروق ، القاهرة .

19- عبدالوهاب المسيري ، **الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان** ، الإعادة الثانية 1428 هـ – 2007م ، دار الفكر – سوريا .

20- عبدالوهاب المسيري ، **قضية المرأة بين التحرير .. والتمركز حول الأنثى** ، التنوير الإسلامي (38) ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع – مصر – ، ط2 ، اغسطس 2010 .

21- لويس إدمون ، **مقالات في الفردانية ، منظور أنتربولوجي للإيديولوجية الحديثة** ، ترجمة ، بدر الدين عردوكي.

22- دودي نوري نورالدين ، **التنظيم البيروقراطي عند ماكس فيبر و ميشال كروزيه**، جامعة الجلفة .

23- إميل دوركايم ، **الانتحار** ، ترجمة : حسن عودة ، منشورات الهيئة السورية للكتاب ،دمشق ، 2011 .

24- عبد الحميد عبيدي ، **قراءة نقدية جديدة في الاسس الايديولوجية للفردانية وراهنيتها في المجتمعات الغربية** ، مجلة عمران ، العدد 32 ، ربيع 2020 ص 129.

25- جلال الدين سعد ، **معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية** ، دار الجنوب للنشر ، تونس ، 2004 .

26- أندريه لالاند ، **موسوعة الفلسفة** ، المجلد A-G ، تعريب خليل أحمد خليل .

27- حسن الكحلاني ، **الفردانية في الفكر الفلسفي المعاصر**، مكتبة مدبولي، القاهرة ، 2004.

28- لويس إدمون،**مقالات في الفردانية ،منظور أنتربولوجي للإيديولوجية الحديثة** ، ترجمة:بدر الدين عردوكي.

29- علاء جواد كاظم ، **الفرد والمصير ، بحث في الانتربولوجيا الثقافية** ، 2011.

30- جيل فيريول ، **معجم مصطلحات علم الاجتماع** ، ترجمة وتقديم : أنسام مُحَّد الأسعد ، مراجعة وإشراف بسام بركة ، 2011 .

31- الفرفار العياشي ، **الفردانية المنهجية وتقويض أسس التصورات الشمولية: سوسيولوجيا ريمون بودون أنموذ**جا ، مجلة دراسات في علوم الإنسان والمجتمع – جامعة جيجل.

32- إميل دوركايم ،**في تقسيم العمل الاجتماعي**، ترجمه من الفرنسية إلى العربية حافظ الجمالي ، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع ، بيروت ، 1982 .

33- تقديم وتنسيق :يونس الوكيلي ،**الدين والمجتمع ونظرية المعرفة** ، قراءات معاصرة في أعمال إيميل دوركايم ، ، 2015، مؤمنون بلا حدود.

34- أحمد علي عجيبة ، **أثر الكنيسة على الفكر الأوربي** ،دار الآفاق العربية ، ط1، 2004.

35 - زيغريد هونكه ، **شمس الله تسطع على العرب** ، **فضل العرب على أوربا** ، ترجمه وحققه وعلق عليه فؤاد حسنين علي ،دار العالم العربي ، القاهرة ، ط2 ، يناير 2008 – محرم 1429 م .

36- نور علوان ، حفصة جودة ، **الفردانية: سلطة المجتمع أم سيادة الذات؟** ن بوست ، (2018/01/17.

37 - حكمة ، ترجمة ناصر الحلواني ، تحرير تركي الطوهري ، القديس أوغسطين ، موسوعة ستانفورد للفلسفة ،

38 -الصادق الفقيه ،**اختراع الفرد.. أصول الليبراليَّة الغربيَّة** ، 10 يونيو، 2020 ، موقع التنويري الالكتروني.-

39- نور علوان ، حفصة جودة ، **الفردانية: سلطة المجتمع أم سيادة الذات؟** ن بوست ، 2018/01/17).

40- راوية عبد المنعم عباس ، **جون لوك إمام الفلسفة التجريبية** ، لبنان ،دار النهضة العربية للطباعة ، 1996

41- زكي نجيب محمود ، **ديفد هيوم** ، مؤسسة هنداوي ، 2021.

42 - بركاني رابح ، بركاني مُحَّد أمين ، **المقدس في فلسفة ديفيد هيوم ،مجلة انتربولوجيا** ، مجلد 7 ، عدد 1، 2021.

43- نورة بوحناش ، **ديفيد هيوم ونهاية المقدس**، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث ، 5 يوليو 2016، الموقع الالكتروني.

44- عامر شطارة ، **الفردانية في الفلسفة الحديثة كيركيجارد أنموذجاً** ، جانفي ، 2014.

45- جون استيوارت مل ، **عن الحرية** ، ترجمة هيثم كامل الذبيدي.

46- جون استيوات مل ، **استعباد النساء** ، ترجمة إمام عبدالفتاح إمام .

47- نورة عابد ، **مفهوم الفردانية في الفكر الفسفي المعاصر** ، مخبر الفلسفة وتاريخها ، جامعة وهران .

48- علي شريعتي ، **النباهة والاستحمار** ، ط1، 1404- 1984م ، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، لبنان.

49- علي شريعتي ، **مسؤولية المرأة** ،ترجمة خليل الهنداوي ، حققه وحرره للنشر مُحَّد حسين بزي ، دار الأمير للثقافة والعلوم ،العراق ،1428 – 2006.

50 - طه عبدالرحمن ، **بؤس الفردانية ،النقد الائتماني لفصل الاخلاق عن الدين**، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت ، 2014 .

51- مُحَّد خاطر ، طريق الهاوية.. **من الإباحية إلى المثلية** ، الجزيرة نت ، 7- 12- 2021.

52- مصطفى عاشور ، **الفردانية وازمة الإنسان المعاصر** ، اسلام اون لاين ، الموقع الالكتروني .

53 -اندريه كونت – سبونفيل، **هل الرأسمالية اخلاقية** ، ترجمة بسام حجار ، دار الساقي – بيروت ، 2005.

54- عبد الوهاب المسيري ، **العلمانية الجزئية العلمانية الشاملة** ، ج 1 ، دار الشروق ، القاهرة ، ط1 1423- 2002 .

55-مصباح الشيباني ، **تقرير الحريات الفردية والمساواة في تونس : دراسة سوسيولوجية في فلسفته الفردانية وأعراضها الاجتماعية** ، مجلة مدارات سياسية ، العدد 2 – 2019 .

56- عبد الوهاب المسيري ، **دفاع عن الإنسان ، دراسات نظرية وتطبيقية في النماذج المركبة** ، ط1 ، 1424هـ -2003م ، دار الشروق ، القاهرة.

57- عبدالوهاب المسيري ، **الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان** ، الإعادة الثانية 1428 هـ – 2007م ، دار الفكر – سوريا .

58- عبدالوهاب المسيري ، **قضية المرأة بين التحرير .. والتمركز حول الأنثى** ، التنوير الإسلامي (38) ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع – مصر - ، ط2 ، اغسطس 2010 .

59- مصطفى عاشور ، **الفردانية وازمة الإنسان المعاصر** ، اسلام اون لاين ، الموقع الالكتروني

60 - ألفرد آدلر، **الطبيعة البشرية** ، ترجمة عادل نجيب بشرى (القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، 2005.

61- مالك بن نبي ، **ميلاد مجتمع** ، دار الفكر – دمشق – 1999.

62- مايكل كاريذس ، **لماذا ينفرد الإنسان بالثقافة الثقافات البشرية :نشأتها وتنوعها** (الكويت ، عالم المعرفة ، المجل الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ع 229 ، رمضان 1418 هـ- ينار –كانون الثاني 1998 .

63-عبدالباسط عبد المعطي ، **اتجاهات نظرية في علم الاجتماع** ، عالم المعرفة (الكويت ، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب ، ع 44 ، أغسطس 1981.

64- مُحَمَّد الجوهري وآخرون ، **الأنتربولوجيا الاجتماعية** ، قضايا الموضوع والمنهج (القاهرة ،مطبعة العمرانية للأوفست ، 2003.

65- بشير معمرية ،**خبرات الإساءة في مرحلة الطفولة وعلاقتها بالاضطرابات النفسية في مرحلة الرشد المبكر** ، بحوث ودراسات متخصصة في علم النفس، الجزائر ، منشورات الحبر ، 2007 .

66- فاز قنطار ، الأمومة : **نمو العلاقة بين الطفل والأم** ، عالم المعرفة (الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ع 166، اكتوبر1992.

67- مالك بن نبي ، **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي** ، ترجمة بسام بركة ، أحمد شعبو ، إشراف وتقديم عمر مسقاوي دمشق – لبنان ، دار الفكر ، الإعادة السادسة ، 1426 هـ – 2005 ، ط1 ، 1988 ط .

68- مالك بن نبي ، **شروط النهضة** ، ترجمة عمر كامل مسقاوي ، عبد الصبور شاهين ،(دمشق ، دار الفكر ، ط4 ، 1407 هـ – 1987 م .

69- مُحَمَّد متولي الشعراوي ، **خواطر الشعراوي** ، ج 13 .

-70 ول وايريل ديورانت ، **قصة الحضارة** ، **نشأة الحضارة** ، ترجمة زكي نجيب محمود ، تقديم : محي الدين صابر ، ج 1، من المجلد الأول ، بيروت ، بدون تاريخ .

71- مُحَمَّد سعيد رمضان البوطي ، **منهج الحضارة الإنسانية في القرآن**، دمشق ، دار الفكر 1432هـ – 2011

72 - محسن مؤنس ، **الحضارة ، دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها** ، عالم المعرفة ، الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ع 237 ، سيبتمبر 1998).

73- مالك بن نبي ، **وجهة العالم الإسلامي** ، ترجمة عبدالصبور شاهين (دمشق ، دار الفكر ، الإعادة السادسة ، 1427هـ – 2006م).

74- يوسف القرضاوي ، **الإسلام حضارة الغد** (القاهرة ، مكتبة وهبة ، 1995- 1416).

75-المنذري ، **المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب** ، انتقاه وقدم له وعلق حواشيه ووضع فهارسه يوسف القرضاوي (القاهرة ، دار التوزيع والنشر الاسلامية ، ط3 ، 1421هـ – 2001 م) ج2 .

76- أحمد القديدي ،**الإسلام وصراع الحضارات** ،كتاب الأمة (الدوحة ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ط1 ، ذو الحجة 1415هـ – أيار مايو 1995) .

77- مُحَمَّد سعيد رمضان البوطى ، **المذاهب التوحيدية والفلسفات المعاصرة** (دمشق ، دار الفكر، ط4 ، 1425هـ – 2014م) .

78- عماد الدين خليل ، **العلم في مواجهة المادة ، قراءة في كتاب حدود العلم لسوليفان** (دار ابن كثير ، 1427 - 2006 م) .

79 - مُحَمَّد سعيد رمضان البوطي ،**كبرى اليقينيات الكبرى** ، دمشق ، دار الفكر ، 1997.

80- مالك بن نبي ، **مجالس دمشق** (الجزائر ، دار الوعي ، ط1 ، 1434هـ- 2013م) .

81-مُحَمَّد عابد الجابري ، **المسألة الثقافية في الوطن العربي** ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، مارس 1999.

82 - على حرب ، **أوهام النخبة أو نقد المثقف**، بيروت ، المركز الثقافي العربي ، ط3، 2004.

83- مُحَمَّد قطب سليم ، **المجتمع والثقافة والشخصية ، دراسات في علم الاجتماع الثقافي** .

84- سيد صابر ، **الإنسان والآلة** ، 1- 5 – 2017 ، مدونات ، الجزيرة نت.

85- علاء الدين محمود عبابنة ، **دور ثقافة أفراد المجتمع في الحد من انتشار وباء كورونا – دراسة انتربولوجية لمدينة إربد** – المجلة العربية للنشر العلمي ،2 أيار 2022 ، ص 2.

86**- لآثار السورية في ظل الحرب.. تدمير وتهريب** ، 2015/10/12 ، الجزيرة نت .

87-- محمود أحمد السيد ،**الثقافة العلمية من متطلبات العصر** ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، المجلد 87 ، الجزء الثاني 334.

88- - عبدالقادر طالبي ، **أثر شبكة الانترنت في ثقافة الإنسان العربي المعاصر** ، مجلة تاريخ العلوم ، العدد السابع – مارس 2017، .

89- بايوسف مسعودة ، **الطفل والانترنت المنزلي ،مجالات الاستخدام والإشباعات المتحققة** ، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، العدد 27 ، ديسمبر 2016.

90 - يوسف قدوري ، **إدمان استخدام الانترنت وعلاقته ببعض أعراض الاضطرابات النفسية لدى عينة من طلبة جامعة غرداية** ، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، العدد 19 ، جوان2015 .

91- روبين دونبار وآخرون ، **تطور الثقافة ، رؤية في ضوء منهج البحوث المتداخلة** ، ترجمة شوقي جلال .

92- عدالة جعفر ، **ثقافة الاوسكار وصناعة الهيمنة الثقافية الامريكية** ، آفاق سنمائية ، العدد 2 ، جامعة سطيف.

93 - معن زيادة ، **معالم على طريق تحديث الفكر العربي** ، الكويت ، عالم المعرفة ، 1987 .

94 -الطاهر لبيب ، **سوسيولوجية الثقافة** (القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، 1978) .

95 -معن زيادة (محرر) **الموسوعة الفلسفية** ، مادة ثقافة .

96- نصر مُحَّد عارف ، **الحضارة – الثقافة – المدنية " دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم** " (أمريكا ، المعهد نصر مُحَّد عارف ، المرجع نفسه .

97- علوي طه الصافي ، **تعريف الثقافة ومفهومها** ، مجلة الفيصل ، العدد 143 (ديسمبر 1988م يناير 1989م).

98 - جان ريمون ، **تلاقي الثقافات والعلاقات الدولية** ، بيروت ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، العدد 29 ، 1983 ، ص 85 . العالمي للفكر الإسلامي ، ط2، 1415هـ – 1994م) .

99- سلامة موسى ، **الثقافة والحضارة** (القاهرة ، مجلة الهلال ، ديسمبر ، 1927).

100- عادل زعيتر ، **حضارة العرب** ، غوستان لوبون .

101- القاضي أبو الوليد مُحَّد بن احمد بن رشد ، **كتاب فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال** .